معالم في القصص القرآني
والسيرة النبوية الشريفة
(١)

العداء للإسلام بين الماضي والحاضر

# الشبهات والاتهامات الباطلة حول الرسل عليهم السلام

تفسير موضوعي

تأليف
د/ عبد الرحمن بن محمد البرادعي
المدرس بقسم الدراسات القرآنية
في جامعة أم القرى - كلية المعلمين (سابقًا)

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة

العداء للإسلام بين الماضي والحاضر

# الشُّبُهَاتُ والاتّهامات الباطِلة حَوْلَ الرّسُلِ عليْهِمُ السَّلام

بسم الله الرحمن الرحيم

معالم في القصص القرآني
والسيرة النبوية الشريفة
(١)

العداء للإسلام بين الماضي والحاضر

# الشبهات والاتهامات الباطلة حول الرسل عليهم السلام

من رسالة جامعية بجامعة أم القرى
(تفسير موضوعي)

تأليف
د/ عبد الرحمن بن محمد البرادعي
المدرس بقسم الدراسات القرآنية
في جامعة أم القرى - كلية المعلمين (سابقًا)

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

هذا الكتاب - في أصله - جزء من رسالة علمية (ماجستير)، نوقشت في جامعة أم القرى، وأجيزت بتقدير (ممتاز). أشرف عليها فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد أبو السعادات، وناقشها فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان الصادق البيرة، وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحميد الأمين، أسأل الله أن يجزيهم خيرا.

دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع
مكة المكرمة - حي العزيزية - بجوار جامعة أم القرى - ت ٥٥٨٩٠٢٧
المدينة المنورة - ت ٠٤٨٤٦٣٣٢٢ - جوال ٠٥٠٤٥١٢٤٤٧

عضو جمعية الناشرين السعوديين
وعضو الاتحاد العربي للنشر الالكتروني

# المقـدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وبعد:

فإن لأعداء النبـوات في مناهـضة الإسـلام مـسارين رئيـسين: الـشبهات.. والمجابهات، بهما يترجمون ما يجـوس في دواخلهـم مـن تأصـل الكراهيـة للحـق، وغلبة الحقد، وعظم العداء، تجاه الرسل عليهم السلام.

والتأمل في القصص القرآني والسيرة الشريفة يكـشف المعـالم البـارزة لتلـك الحركة المتواصلة، والمواجهة المستمرة، التي يقـصد بهـا المجرمـون إلى رد الـوحي السماوي، وإطفاء نوره، وصد الناس عن سبيله..

وهذا الكتاب يتناول المسار الأول، راصدا مجموعـة الـشبهات والاتهامـات المثارة، وذلك من خلال تمهيد يحدد معنى الشبهة والهدف مـن إثارتهـا، ثـم ثلاثـة مباحث تعرض الشبهات حـول الـدعوة والرسـل عليهم السلام والمـؤمنين، ثـم خاتمـة موجزة تقارن بين الماضي والحاضر..

أسأل الله تعالى العون والتيسير، والسداد والتوفيـق، كـما أسـأله سـبحانه أن يعظم الأجر لمن أشرف عليَّ في هذا البحث: فـضيلة الأسـتاذ الـدكتور أحمـد أبـو السعادات، وأن يهبه نعيما لا ينفد، وسعادة لا تنقطع، وصلى الله وسلم عـلى نبينـا محمد، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه، ومـنَ تـبعهم بإحـسان إلى يوم الدين.

# التمهيد

## المراد بالشبهات:

الشبهات جمع شبهة، والشبهة: الالتباس، يقال: شبّه عليه الأمر تشبيها: لبّس عليه. وتقول: شبّهت عليَّ يا فلان: إذا خلّط عليك، واشتبه الأمر: إذا اختلط، وأمور مشتبهة: مشكلة يشبه بعضها بعضا، وشُبِّه عليه: خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره[١].

والمقصود بالشبهات هنا ما يثير الشك والارتياب في صدق الرسول، وصحة رسالته، وأحقية ما يدعو إليه، ونزاهة أتباعه وسلامة غاياتهم، فيشتبه الأمر على الناس، مما ينتج عنه حجبهم عن الرؤية الصحيحة للحق، ويؤدي إلى منعهم من الاستجابة، أو تأخير تلك الاستجابة.

والمراد بإثارة الشبهات نشرها وتزيينها وإشاعتها بين الناس، والعمل على تكرارها على المسامع والآذان، لتأخذ طريقها إلى القلوب والأذهان، فيتأثر بها ويألفها من استقبلها وصدقها وارتضاها، ويحصل له بها الالتباس والاشتباه في قضايا الدعوة، ومن ثَمّ تصبح تلك الشبهات والاتهامات لدى هؤلاء حقائق يأخذون هم أيضا في ترديدها وتبنّيها، والدفاع عنها، واتخاذ الموقف السلبي من الدعوة على أساسها[٢].

## هدف المضلين من إثارة الشبهات:

لاشك أن الهدف الأصلي العام لدى هؤلاء هو صد الناس عن دين الله تعالى،

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ص ٥٢٦، لسان العرب: ٤/ ٢١٩٠، ترتيب القاموس: ٣/ ٧٦٠.

(٢) ينظر أصول الدعوة ص ٤١٠.

والقضاء على دعوته سبحانه، وما تتضمنه من الهدى والحق القائم على توحيد الله جلا وعلا، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [الصف: ٧-٨].

وفي موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [التوبة: ٣٢].

عن السُّدِّي قال: "يريدون أن يطفئوا الإسلام بكلامهم"(١).

وعن ابن جريج قال: "بألسنتهم"(٢).

قال السمرقندي: "يعني يريدون أن يردوا القرآن تكذيبا بألسنتهم"(٣).

وقال محمد الأمين: "إرادتهم إطفاء نور الله بأفواههم إنما هي بخصامهم وجدالهم بالباطل"(٤).

ويحتمل اللفظ القرآني معنى الاستخفاف بسعيهم في مناهضة الحق والصدّ عنه.

قال الزمخشري: "مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد ﷺ بالتكذيب، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبثّ في الآفاق، يريد الله أن يزيده ويبلغه

---

(١) تفسير الطبري ١٠/ ١١٦، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٥، الدر المنثور ٤/ ١٧٥.

(٢) الدر المنثور ٨/ ١٤٨.

(٣) تفسير السمرقندي ٢/ ٥٤، وينظر: ٣/ ٤٢١، تفسير الطبري ١٠/ ١١٦، ٢٨/ ٨٨، تفسير البغوي ٢/ ٢٨٦، تفسير الواحدي ١/ ٤٦، تفسير السمعاني ٢/ ٣٠٤.

(٤) أضواء البيان ٤/ ١٤٠.

الغاية القصوى في الإشراق أو الإضاءة، ليطفئه بنفخه ويطمسه"[١].

وما تتضمنه الآيتان الكريمتان يعمّ الكفار المحاربين للشرع الإلهي، الباغين إبطاله، من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين[٢].

وقد قرر القرآن أن ذلك هو شأن المجرمين مع الأنبياء عليهم السلام.

**يقول الله جل شأنه:**

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قال السَّعدي: "أي يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلا، والباطل حقا"[٣].

**ويقول تبارك وتعالى:**

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

---

(١) تفسير الزمخشري ٢/ ٢٥٣، وينظر: ٤/ ٥٢٦، تفسير ابن عطية ٣/ ٢٦، التسهيل ٢/ ٧٥، تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٩، نظم الدرر ٣/ ٣٠٣-٣٠٤، ٧/ ٥٨٣، تفسير ابن عاشور ١٠/ ١٧١-١٧٢.

وذكر بعض المفسرين أن اللام في (ليطفئوا) تفيد التأكيد لمعنى إرادة الإبطال للحق من أعداء النور الإلهي.

ينظر: تفسير الزمخشري٤/ ٥٢٥-٥٢٦، الروض الريان ٢/ ٤٨٧، فتح الرحمن ص٣٥٠، تفسير ابن عاشور ٢٨/ ١٩٠.

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٥٤، الدر المنثور ٤/ ١٧٥، تفسير ابن عاشور ٢٨/ ١٨٨-١٩١.

(٣) تفسير السعدي ٢/ ٥٩-٦٠، وينظر: تفسير الطبري:٨/ ٣، تفسير الواحدي: ١/ ٣٧١، تفسير الزمخشري ٢/ ٥٦، تفسير ابن عطية ٢/ ٣٣٦.

يقول ابن عاشور: "شبه أكابر المجرمين من أهل مكة في الشرك بأكابر المجرمين في أهل القرى في الأمم الأخرى، أي أن أمر هؤلاء ليس ببدع ولا خاص بأعداء هذا الدين، فإنه سنة المجرمين مع الرسل الأولين"(١).

**ويقول** ﷻ:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

والإدحاض: الإبطال والإزالة(٢).

قال ابن كثير: "أي ماحلوا(٣) بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلي"(٤).

هذا الاتجاه في الصد عن دين الله تعالى كان طبيعة للمضلّين من اليهود والنصارى وأهل الأوثان كما في قول الله تقدست أسماؤه:

---

(١) تفسير ابن عاشور ٨/ ٤٧، وينظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٢، تفسير المنار ٨/ ٣٢-٣٤. وأصل المكر كما قال ابن فارس (الاحتيال والخداع) مقاييس اللغة ص٩٥٧، قال رشيد رضا: (المكر صرف المرء غيره عما يريده إلى غيره بضرب من الحيلة في الفعل أو الخلابة في القول، والأكثر فيه أن يكون الصرف عن الحق إلى الباطل وعن الخير إلى الشر..) تفسير المنار ٨/ ٣٣، وينظر: المفردات ص٤٧٣.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ص٣٥٨، تفسير الزمخشري ٢/ ٦٨١، المفردات ص١٧٢.

(٣) المماحلة: المكايدة والمجادلة والمدافعة. ينظر: لسان العرب ٦/ ٤١٤٨- ٤١٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٧١، وينظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٣٥٢، تفسير الواحدي ٢/ ٥٤١، تفسير ابن عاشور ٢٤/ ٨٦، أضواء البيان ٤/ ١٣٩.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٨-٩].

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٤].

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [آل عمران: ٩٩].

أي: باغين لسبيل الله ـ وهو الإسلام ـ اعوجاجا، وذلك بالتلبيس على الناس بإثارة الشبه وإلقاء التهم(١).

إن ذلك هو هدف المضلين النهائي لما يثيرون من الشبهات، وهناك أهداف كثيرة يمكن أن تتفرع عن ذلك الهدف الرئيس، ومنها:

ـ التشكيك في الحقائق الثابتة في دين الله تعالى، كقضية الوحدانية لله جل وعلا، وقضية الرسالة، وقضية البعث، ونحو ذلك.

ـ التنفير من الدعوة، وزعزعة الثقة في القائمين عليها، والإغراء على كراهيتهم، وذلك بتشويه سمعتهم، وإظهارهم في صورة كريهة ملؤها الكذب والنفاق والخداع.

---

(١) ينظر: تفسير الواحدي ١/ ٢٢٤، تفسير البغوي ١/ ٣٣١، تفسير الزمخشري ١/ ٤٢١، تفسير القاسمي ٧/ ٢٠٨.

ـ تحويل أنظار العامة عن قضايا الإسلام، وعدم إتاحة الفرصة لهم للتأمل في الحق بهدوء، والنظر فيه بتجرد دون أي مؤثر خارجي.

ـ التأثير على موقف الجماهير، بحيث يؤيدون فكرة المجابهة للدعوة والمؤمنين بها باعتبار أن القضية قضيتهم، والخصم في المعركة هو عدوهم أيضًا.

ـ إرهاب الأفراد من التفكير في الاستجابة لداعي الإيمان، إذ أن ذلك معناه التعرض لذات الاتهامات والشبهات.

ـ التأثير السلبي على الدعاة أنفسهم نفسيا وعمليا، وإشغالهم بما يثار عنهم من الشبهات عن قضيتهم الأساسية.

ـ الضغط المعنوي على المؤمنين، أملا في ارتداد بعضهم ونكوصه[1] عن طريق الإيمان.

**سمات عامة لشبهات المكذبين في القصص القرآني:**

يمكن للمتأمل في القصص القرآني أن يلحظ عددا من السمات العامة على ما يثيره المضلّون من الشبهات، أذكر منها السمتين التاليتين:

**١ - التشابه والتكرار:**

فقد يمر القارئ لكتاب الله تعالى على شبهة أثيرت حول نبي الله نوح ﷺ، ثم يلحظ الشبهة ذاتها في قصة هود ﷺ، وبعد التأمل يجدها تكاد تتكرر مع كل رسول من الرسل عليهم السلام.

ذلك التكرار والتشابه أمر ظاهر في كثير من الشبهات، حتى وإن اختلفت

(١) نكص عن الأمر: أي رجع عنه وأحجم. ينظر: لسان العرب ٦/ ٤٥٤١-٤٥٤٢.

الألفاظ والعبارات لما يريده المضلّون من التلبيس والافتراء، إذ يبقى التشابه حاصلا في الفكر ومضمون الاتهام.

ولذا خاطب الله جلا وعلا رسوله عليه الصلاة والسلام تسلية له وتهوينا لما يواجهه من أنواع الشبه والاتهامات، فقال سبحانه:

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت: ٤٣].

وهذا التشابه ليس بالأمر المستغرب، فإن أهداف المضلّين واحدة، وإن تناءت بينهم الأزمان، واختلفت المواطن والبلدان، فالكل يقصد دين الله تعالى بالحرب والمجابهة، والجميع مشترك في الإضلال والصد عن سبيل الله تعالى.

**يقول الله جل شأنه:**

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة: ١١٨].

فلما حصل التشابه لقلوبهم في الضلال أنتج ذلك تشابها فيما يصدر عنهم من المقالات والافتراءات والاتهامات لرسل الله عليهم السلام، وكأن القوم قد أوصى بعضهم بعضا:

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

قال ابن كثير: "﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة؟ ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أي: لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم"(١).

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٣٨، وينظر: أضواء البيان ٧/ ٦٧٠.

"فهم جبلّة واحدة، وطبيعة واحدة للمكذبين، وهو استقبال واحد للحق وللرسل يستقبلهم به المنحرفون ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾ كما يقول هؤلاء المشركون، كأنما تواصوا بهذا الاستقبال على مدار القرون، وما تواصوا بشيء، إنما هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق تجمع بين الغابرين واللاحقين"(١).

**٢- التناقض والتخبط، والحيرة والاضطراب:**

ذلك أن ما يثيره المضلّون من الشبهات بعيد في الواقع عن الاشتباه الحقيقي، ومن ثَمّ فهم متناقضون بين ما يشيعونه بألسنتهم من الشبه، وما يفترونه بأفواههم من الأقاويل، وبين ما تستيقنه أنفسهم من حقيقة الدعوة، وما تعلمه قلوبهم عن صدق الرسل عليهم السلام، ورجاحة عقولهم، وتميّز شخصياتهم، مما جعل اتهاماتهم ذاتها تتسم بالحيرة والتناقض، والتردد والاضطراب، والاختلاف والتخبط، فيما يوردونه تباعا عن نبي الله المرسل إليهم، ينتقلون من شبهة إلى شبهة، ولا يستقرون في ذلك على حال، كما ذكر الله تبارك وتعالى من أقاويل المشركين المضلين عن رسول الله عليه الصلاة والسلام:

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥].

"فهذه الجملة القصيرة تمثل لك بما فيها من توالي حروف الإضراب مقدار ما أصابهم من الحيرة والاضطراب في رأيهم، وتريك من خلالها صورة شاهد الزور

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٨٦، وينظر: تفسير الزمخشري ٤/ ٤٠٨، نظم الدرر ٧/ ٢٨٨.

إذا شعر بحرج موقفه: كيف يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، وكيف تتفرق به السبل في تصحيح ما يحاوله من محال"(١).

يقول ابن كثير: "هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم وضلالهم، فتارة يجعلونه سحرا، وتارة يجعلونه شعرا، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام، وتارة يجعلونه مفترى، كما قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٨]"(٢).

ولذا اعتبر السمعاني أن "المراد من الآية بيان تناقضهم في قولهم، وأنهم غير مستقرين على رأي واحد"(٣).

وقال السمعاني أيضًا في تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٣٩] "قال أهل العلم: هذا تناقض، لأن السحر لا يكون إلا بعقل كامل، والمجنون هو الذي لا عقل له"(٤).

وقال الزمخشري في تفسير قول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٥٧]: "وقوله: ﴿ بِسِحْرِكَ ﴾ تعلّل وتحيّر، وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر"(٥).

---

(١) النبأ العظيم ص٦٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٣، وينظر: تفسير الزمخشري ٣/ ١٠٤، تفسير ابن عطية ٤/ ٧٤، نظم الدرر ٥/ ٦٧، تفسير ابن عاشور ١٥/ ١٢٢.

(٣) تفسير السمعاني ٣/ ٣٦٩، وينظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٤٢٠، البرهان في علوم القرآن ٢/ ٩١.

(٤) تفسير السمعاني ٥/ ٢٦٠، وينظر: نظم الدرر ٧/ ٢٨٢، ٢٨٧-٢٨٨.

(٥) تفسير الزمخشري ٣/ ٧١.

وقال البقاعي في تفسير قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]: "والهوى هو الذي أوجب لهم هذا التناقض الظاهر، سواء كانت (أو) للتفصيل، بأن بعضهم قال واحدا وبعضهم قال آخر، أو كانت للشك، لأن الساحر يكون لبيبا فطنا آتيا بها يعجز عنه كثير من الناس، والمجنون بالضدّ من ذلك"[1].

**المراد من التنويع للشبهات:**

الشبهات حول الدعوة، أو الدعاة، أو المؤمنين: بينهـا ارتبـاط وثيـق وكبـير. ذلك أن ما يمس الدعوة يمس الداعية كـذلك، ومـا يـشكك في الداعيـة يتنـاول الدعوة أيضا، فهي حلقات مترابطة لا يكاد ينفك بعضها عن بعض.

وبالتالي فقد كان المقصود من التنويـع في البحـث هنـا هـو مجـرد الزيـادة في إيضاح الفكرة، والتركيز في تصور المقصود من كل شبهة، خصوصًا وأن المثـيرين للشبهات ينوعون ويتفننون في الطرح والإلقاء، فهم تارة يستهدفون الدعوة ذاتها للقضاء عليها، وتارة يستهدفون الداعية للتنفير منه والتقليـل مـن شـأنه، وثالثـة يستهدفون المؤمنين بالدعوة لتشويه صـورتهم.. وهكـذا، ومـن ثَـمّ حـصل هـذا التقسيم للشبهات باعتبار الغالب في المقصود بها، مع التأكيد على العلاقة الوثيقـة بين تلك الأقسام جميعها، وأنها في نهاية الأمر تُكَوِّن مجموعة واحـدة تمثـل سـهاما مسمومة يريـد لهـا مروّجوهـا أن تـصيب الـدعوة الإسـلامية بأبعادهـا الثلاثـة: الدعوة، والدعاة، والمؤمنين بالدعوة.

---

(١) نظم الدرر ٧/ ٢٨٨.

# المبحث الأول
# شبهات حول الدعوة

ويشتمل على الشبهات التالية:

**الشبهة الأولى**: اتهام الدعوة بأنها مختلقة، مصدرها البشر لا الوحي الإلهي.

**الشبهة الثانية**: القول بأن أتباع الدعوة من عامة الناس ومستضعفيهم.

**الشبهة الثالثة**: الحكم على الدعوة بأنها غريبة على طبيعة المجتمع وعقيدته، خارجة عن مألوف الناس وتقاليدهم.

# الشبهة الأولى

## اتهام الدعوة بأنها مختلقة مصدرها البشر لا الوحي الإلهي

يُجْمِع أعداء الرسالات على إثارة هذه الشبهة، ودفعها للتداول بين الناس، إلا أنهم يختلفون فيما بينهم في الاتهام المناسب ـ في نظرهم ـ للدعوة والرسالة.

**وفيما يلي بعض ما رددوه من التهم التي تدخل في دائرة هذه الشبهة:**

**١ - ما جاء به الرسول ﷺ إنما هو ـ بزعمهم ـ من أساطير الأولين.**

يقول الله تعالى في قصة هود ﷺ: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦-١٣٧].

في لفظ: (خُلُق) قراءتان ثابتتان، إحداهما بفتح الخاء وإسكان اللام، والأخرى بضمهما[١].

قال ابن كثير: "أما على قراءة فتح الخاء: المراد اختلاق الأولين، أي إنْ هذا الذي جئت به إلا اختلاق منك أخذته من كتب الأولين. هكذا فسره غير واحد من الصحابة والتابعين"[٢].

وقال الفَرَّاء: "والعرب تقول: حدِّثنا بأحاديث الخلق، وهي الخرافات المفتعلة وأشباهها"[٣].

فهؤلاء المضلّون يصفون ما جاء به هود ﷺ عن ربه سبحانه بأنه من أكاذيب

---

(١) الأولى قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، والثانية قراءة باقي السبعة. ينظر: سراج القارئ ص٣٠٧-٣٠٨.

(٢) قصص الأنبياء ١/ ١٢٨، وينظر: تفسير الواحدي ٢/ ٧٩٣، المفردات ص١٦٤، تفسير البغوي ٣/ ٣٩٤، حجة القراءات ص٥١٨، إملاء ما منّ به الرحمن ص١٦٩، وهذا المعنى مرويّ عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ومجاهد وعلقمة. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٧، الدر المنثور ٦/ ٣١٣.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٨١.

الأولين وخرافاتهم وأحاديثهم المفتعلة التي لا حقيقة لها ولا أصل، وإنما هي أقاويل وأباطيل مزخرفة يتناقلها اللاحق عن السابق.

ويكرر الملأ من قريش الشبهة ذاتها: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ[1] مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ﴾ [ص:٦-٧].

**والمراد بالاختلاق: الكذب والافتعال[2].**

فالملأ المشركون يثيرون بين العامة أن دعوة نبي الله عليه الصلاة والسلام باطلة من أصولها، وأن دعوى الوحي والرسالة قائمة على الكذب والافتراء لا أساس لها من الصحة، ولا نسبة فيها من اليقين.

---

(١) يرد لفظ الملأ في اللغة بمعان منها: وجوه القوم وأشرافهم وسادتهم ورؤساؤهم. ينظر: تهذيب اللغة ١٥/ ٤٠٤، تاج العروس ١/ ٤٣٦، مقاييس اللغة ص٩٥٧، لسان العرب ٦/ ٤٢٥٢.

ومنه دعاء الرسول ﷺ على أبي جهل وأشباهه من رؤوس الكفر: (اللهم عليك الملأ من قريش) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ٣/ ١٣٩٩، ومسلم في كتاب الجهاد ٢/ ١٤١٩. وينظر: صحيح البخاري ٦/ ٢٦٤٤، صحيح مسلم ٢/ ١٤٣١، شرح النووي على صحيح مسلم ٥/ ٧، ١٢/ ١٧١، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٥٣، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٥١.

واستعمال لفظ الملأ بهذا المعنى هو الغالب في القرآن الكريم. ينظر: تفسير الطبري ١٢/ ٢٦، ٢٣/ ١٢٦، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص١٧١، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٤٦، ٣/ ٤٧، معاني القرآن للنحاس ٣/ ٣٤١، تفسير الزمخشري ٢/ ١٠٨، ١١٠، ٤/ ٧٥، تفسير الفخر الرازي ١٤/ ١٥٠، تفسير النسفي ١/ ٥٤٦، التسهيل ٢/ ٣٦، تفسير البحر المحيط ٦/ ٤٠٢، تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٢، ٣/ ٢٤٣، ٤/ ٢٧، فتح القدير ٤/ ٤٢١.

(٢) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٤٩، تفسير الزمخشري ٤/ ٧٦.

**يقول ﷻ:**

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ [الفرقان: ٤].

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗى ﴾ [سبأ: ٤٣].

"أي: كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع ﴿ مُّفۡتَرٗى ﴾ بإسناده إلى الله ﷻ"(١).

فالدعوة ـ في زعمهم ـ منقوضة من جذورها، إذ لا مستند لها من الحقيقة، بل هي مجموعة من الأكاذيب والأباطيل، يدعى نبي الله عليه الصلاة والسلام أنها من عند الله زورا وبهتانا.

ثم لا يكتفي الملأ من قريش بهذا الاتهام العام، ولكنهم يصرّحون بأن مصدر هذا القرآن هو ما سطره الأولون من أخبارهم، ومن خرافاتهم التي لا تقوم على أصل.

وقد أورد القرآن الكريم اتهامهم هذا في مواضع كثيرة، ومنها قول الله جل وعلا:

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥].

---

(١) روح المعاني ٢٢/ ١٥٢، وينظر: المفردات ص٢٨-٢٩.

**وقوله سبحانه:**

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١].

وأساطير الأولين هي ما سطره الأولون وكتبوه من القصص والأحاديث والأنباء العجيبة، التي تُروى وتُحكى دون تحقيق أو تمحيص، ومن ثَمّ فهي جملة من الخرافات والأكاذيب المدّعاة[1].

**ويقول تبارك وتعالى:**

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ١١].

أي: "فسيقولون: هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ أكاذيب من أخبار الأولين قديمة"[2].

**ومن الآيات التي عرضت شبهتهم هذه أيضا قول الله جل شأنه:**

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ [الفرقان: ٥].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [النحل: ٢٤].

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم: ١٠-١٥].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٩/ ٢٣١، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤١١، تفسير ابن عطية ٢/ ٢٨٠، بصائر ذوي التمييز ٢/ ٢٢٠، تفسير ابن عاشور ٧/ ١٨٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٦/ ١٣.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المطففين: ١٠-١٣].

وممن اشتهر بإثارة هذه الشبهة من رؤوس المشركين: النَّضْر بن الحارث، فقد كان - كما ذكر ابن إسحاق - "إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن، وحذر فيه قريشا ما أصاب الأمم الخالية، خَلَفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم واسفنديار وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثا مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين، اكتتبها كما اكتتبتها"[(١)].

ولما جاءهم القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر، وما فيه من البعث والجزاء، ووعظهم رسول الله ﷺ وخوفهم به، اعتبروا ذلك كله أيضا من أساطير الأولين.

**قال تعالى:**

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٨١-٨٣].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۝٦٧ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [النمل: ٦٧-٦٨].

فما تضمنه كلام الله جل وعلا من الإخبار عن البعث بعد الموت، والقيامة وما فيها من الحساب والجزاء، هو - في زعمهم - أخبار مفتعلة، وأحاديث مفتراة، وأكاذيب مدعاة، سطرها الأقدمون، ونقلها اللاحقون، دون أن يكون لها بالحقيقة صلة أو نسب.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٨٥ (مع اختصار يسير)، وينظر: البداية والنهاية ٣/ ١١٠، السيرة الحلبية ١/ ٥١٧، تفسير الطبري ١٨/ ١٨٢.

**٢- ما جاء به الرسول ﷺ - حسب اتهامهم - أضغاث أحلام.**

ذكر القرآن الكريم أن بعض مشركي قريش وصفوا ما جاءهم به رسول الله ﷺ من الوحي بأنه أضغاث أحلام، وذلك في قوله سبحانه:

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٥].

وأضغاث الأحلام ما اشتبه منها، والتبس واختلط، فلم تتبيّن حقائقها(١).

أي: "قال بعضهم: هو أهاويل رؤيا رآها في المنام"(٢).

وهم يريدون بذلك التأكيد على أن القرآن باطل لاحق فيه، وليس له أساس صحيح معتمد، إنما هو عبارة عن أحلام تختلط عليه في المنام فتخرج على لسانه في اليقظة.

شبهة ساذجة، ظاهرة البطلان، تدل على جهل وسخافة في الأذهان، ولكنهم على كل حال جعلوها تهمة ضمن سائر اتهاماتهم حول القرآن الكريم.

**٣- ما جاء به الرسول ﷺ - حسب شبهتهم - إنما هو من قبيل السحر.**

أثير هذا الاتهام حول عدد من دعوات الرسل عليهم السلام.

ففي قصة موسى عليه السلام تكررت هذه الشبهة على لسان فرعون وملئه وصفا لما جاءهم به نبي الله موسى عليه السلام من البينات.

قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٧٦].

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [النمل: ١٣].

---

(١) ينظر: المفردات ص٣٠٠، بصائر ذوي التمييز ٣/ ٤٨٠.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٣.

فمع كون الآيات التي أوردها موسى عليه السلام ساطعة في ظهورها، واضحة في دلالتها على صدقه عليه السلام، إلا أن فرعون وملأه اعتبروا هذه المعجزات من باب السحر، بل ووصفوه بأنه ﴿ مُّبِينٌ ﴾ مبالغة منهم في إثارة الشبهة وخلط المعجزة بالسحر.

**ويقول تعالى عنهم أيضًا:**

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ [القصص: ٣٦].

"أي: سحر تختلقه، لم يُفْعَل قبله مثله"(١).

ومبالغة في تنفير الناس من دعوة موسى عليه السلام، وزيادة في إلصاق شبهة السحر بها، يصرح فرعون بأن ما جاء به موسى عليه السلام هو السحر العظيم الذي سينهي وجودهم على أرض مصر:

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٥].

ويخاطب فرعون نبي الله موسى عليه السلام مصرحا له بالشبهة ذاتها وبالأسلوب نفسه:

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٥٧].

فما جاء به موسى عليه السلام ليس من قبيل المعجزة ـ في نظر فرعون ـ ولكنه سحر يريد أن يسحر به الناس، فيكون له منهم الأتباع، وبالتالي الدولة والسلطان، ومن ثَمّ فمشروع موسى عليه السلام كله مرتكز على السحر.

وحتى يثبت فرعون للناس هذا الاتهام، ويؤكده في الأذهان، أعلن أنه

---

(١) روح المعاني ٢٠/ ٧٨، وينظر: تفسير الزمخشري ٣/ ٤١٥، تفسير السمرقندي ٢/ ٦٠٨.

سيعارض موسى عليه السلام بنفس الأسلوب الذي مهر فيه، حين تجتمع جموع السحرة ليقضوا على سحر موسى الذي يدعى أنه بينة من رب العالمين:

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ [طه: ٥٨].

ويتناقل السحرة ـ قبل إيمانهم ـ الشبهة ذاتها التي أثارها الطاغية، يحمسون بها أنفسهم على مجابهة موسى وإبطال أمره عليه السلام:

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾ [طه: ٦٢-٦٣].

ولما عرف أولئك السحرة الحق، وتيقنوا أنها المعجزة مع موسى عليه السلام، فآمنوا وسجدوا لله رب العالمين، تحرك فرعون حينئذ لينهي هذا التمرد ـ في نظره ـ وبعد ما كان يثير شبهة السحر عما جاء به موسى عليه السلام أمامهم، أصبح يثيرها هذه المرة عليهم هم، ويشركهم فيها، معتبرا نبي الله عليه السلام أستاذا لهم في السحر، زعيما لهم في المؤامرة:

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ [طه: ٧١].

ومع تتابع البينات من نبي الله موسى عليه السلام، يستمر فرعون وملؤه في إثارة هذه الشبهة وإشاعتها ونشرها، بل ويجعلون من توالي المعجزات وقودا يزيدون به الشبهة اشتعالا وظهورا:

﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

وكذلك فعل الكافرون أعداء الحق مع عيسى عليه السلام في وصف ما جاءهم به من دعوة الله سبحانه، كما قال تعالى في معرض الامتنان على نبيه عيسى عليه السلام:

﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠].

**ويكرر الملأ من قريش ذات الشبهة مع رسول الله ﷺ.**

فهذا الوليد بن المغيرة ـ أحد رؤساء قريش ـ يفكر مليا، ويتأنى ويتروى فيما يمكن أن يقول، ويقلب نظره في الشبهة المناسبة التي يمكن أن يتقبلها الرأي العام في مكة وخارجها، وبعد تناول عدد من الشبهات يستقر رأيه الأخير على أن ما جاء به نبي الله عليه الصلاة والسلام ما هو إلا سحر يؤثر لا وحي يُوحى.

قال الوليد لأبي جهل ـ لما طلب منه قولا يشعر بإنكاره لما جاء به رسول الله ﷺ ـ:

"ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا..".

ولما أكد أبو جهل طلبه مرة أخرى قال الوليد: "فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره"(١).

---

(١) الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٥٠-٥٥١ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه، ووافقه الذهبي، وتابعهما الألباني في صحيح السيرة النبوية ص١٥٩، ورواه كذلك البيهقي في الدلائل ٢/ ١٩٨-١٩٩، والواحدي في أسباب النزول ص٣٨١-٣٨٢، وابن جرير في تفسيره ٢٩/ ١٥٦ عن عكرمة مرسلا، وينظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٣، البداية والنهاية ٣/ ٧٨، لباب النقول ص٢٢٤، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص١٦٨-١٦٩.

وفي ذلك يقول الله ﷻ:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ١١-٢٥].

قال ابن كثير: "﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ أي: هذا سحر ينقله محمد عن غيره عمن قبله ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ أي: ليس بكلام الله"[١].

فالقرآن الكريم ـ في تصريح الوليد ـ ليس هو كلام الله جل وعلا، وإنما هو في حقيقته من كلام البشر، وفي واقعه سحر ينقله نبينا عليه الصلاة والسلام عن السابقين.

هذه الشبهة تكررت من طغاة المكذبين حول دعوته ﷺ كما في قول الله ﷻ:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٧].

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف: ٦].

﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصافات: ١٥].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ: ٤٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٢، وينظر تفسير البيضاوي ٢/ ٥٤٣.

وهم يتناجون بهذه الشبهة وأمثالها ويتواصون كما حكى القرآن الكريم:

﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣].

"أي: إن هذا الذي جاء به محمد ﷺ سحر فكيف تجيئون إليه وتتبعونه؟"(١).

ويزعم هؤلاء أن كفرهم بدعوته عليه الصلاة والسلام مبني على أساس من هذه الشبهة كما قال جل شأنه:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٠].

"ولا يختلط الحق بالسحر فهو واضح بين، وإنما هي دعوى كانوا هم أول من يعرف بطلانها، فما كان كبراء قريش ليغيب عنهم أنه الحق، ولكنهم كانوا يخدعون الجماهير من خلفهم فيقولون إنه سحر، ويعلنون كفرهم على سبيل التوكيد، يقولون: ﴿ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ليلقوا في روع الجماهير أنهم واثقون مما يقولون، فيتبعوهم عن طريق الإيحاء والانقياد"(٢).

ولما انشق القمر(٣) على عهد رسول الله ﷺ ضمن معجزاته الباهرات، ورآه بعض رجالات قريش رأي العين، وبدلا من الاتجاه إلى الإيمان باعتبار ذلك من دلائل صحة نبوته وصدق رسالته، جعلوا ذلك فرصة للمضي في إثارة شبهتهم،

(١) تفسير القرطبي ١١/ ١٧٩، وينظر: أضواء البيان ٤/ ٥٥٥.

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٨٥-٣١٨٦.

(٣) كما في رواية أنس ﷺ: "أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما". رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر ٣/ ١٤٠٤، ومسلم بنحوه في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر ٣/ ٢١٥٩.

فجعلوا هذا الانشقاق للقمر نتيجة من نتائج السحر الذي ينفذه ـ حسب زعمهم ـ نبينا عليه الصلاة والسلام.

**قال تعالى:**

﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢].

والمعنى ـ كما يقول ابن جرير ـ: "وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوة محمد ﷺ، ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربهم، فيولون مكذبين بها، منكرين أن يكون حقا يقينا، ويقولون تكذيبا منهم بها وإنكارا لها أن تكون حقا: هذا سحر سحرنا به محمد حين خيل إلينا أنا نرى القمر منفلقا باثنين بسحره"(١).

وتعزية لأنفسهم يصفون السحر ـ في زعمهم ـ بأنه مستمر ﴿ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾، "أي: باطل مضمحل لادوام له"(٢)، وهم بهذا الوصف لكأنما يمنون أنفسهم بالقضاء على دعوته عليه الصلاة والسلام وإبطال أمره.

هذا الاتهام لما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي بأنه سحر، أَمَرَّه المكذبون أيضًا على دعوة موسى عليه السلام، كما قال سبحانه:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴾ [القصص: ٤٨].

---

(١) تفسير الطبري ٢٧/ ٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٣، وينظر: تفسير الواحدي ٢/ ١٠٤٥.

والمراد بقولهم: ﴿ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا ﴾ "أي: تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وتأييده إياه"[١].

قال ابن كثير بعد ذكر الأقوال في تفسير الآية: "والظاهر على قراءة ﴿ سِحْرَانِ ﴾[٢] أنهم يعنون التوراة والقرآن"[٣]، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك والسدي وغيرهم[٤].

فهم يعتبرون كلا من التوراة والقرآن لا يخرج عن دائرة السحر، وكل منهما يتمم الآخر ويقوّيه.

ولقد كان الملأ من قريش يثيرون هذه الشبهة في وجه كل قادم إلى مكة خصوصا إذا كان من الأشراف وذوي الشأن، كما فعلوا مع الطُّفَيْل بن عمرو الدوسي[٥] إذ قالوا له: "يا طفيل، إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا...".

---

(١) روح المعاني ٢٠/ ٩١.

(٢) هي قراءة حمزة وعاصم والكسائي، وقرأ الباقون (ساحران). ينظر: إبراز المعاني ص٦٣٤، النشر ص٢٥٦، حجة القراءات ص٥٤٧، إملاء ما منّ به الرحمن ص١٧٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٢، واقتصر البغوي عليه. ينظر: تفسير البغوي ٣/ ٤٤٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٨٤، تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٨٥، زاد المسير ٦/ ١٠٣، تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٢، الدر المنثور ٦/ ٤٢٠-٤٢١.

(٥) بفتح الدال وسكون الواو: نسبة إلى قبيلة دوس، والطفيل مصغر: بضم الطاء وفتح الفاء. ينظر: المغني ص١٠٤، ١٥٨.

والملاحظ أنهم بهذه الشبهة يثيرون الخوف لدى السامع من أن يصيبه شيء من سحر نبي الله عليه الصلاة والسلام، خصوصا وأن السحر أمر يخشاه الإنسان عادة وينتابه الفزع من التعرض له.

يقول الطفيل: ".. فوالله مازالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفا[1] فرقا[2] من أن يبلغني شيء من قوله"[3].

كما يلاحظ أنهم ـ حتى تمضي شبهتهم ويُصَدَّق قولهم ـ يذكرون نتائج سحره ـ في زعمهم ـ متمثلة في التفريق بين الرجل وابنه، والأخ وأخيه، فيسلم الابن ويبقى الأب على شركه، أو يسلم الأخ ويبقى الآخر على كفره، وتلك مغالطة من الملأ يتقبلها من يستخفه الباطل من عامة الناس.

لقد كان هذا الاتهام بالسحر في تاريخ الرسل عليهم السلام سلاحا من أسلحة المضلّلين يشكّكون به في صحة النبوات، بالطعن في المعجزات التي تشهد بصدق الرسل عليهم السلام، وتصويرها بصورة السحر، وحينها لا يتأثر بتلك المعجزات من تأصل في ذهنه ـ نتيجة الشبهة ـ أن ذلك سحر من عمل البشر، ومن ثَمّ يرفض المنهج الإلهي الذي يأتي به الرسل عليهم السلام، إذ أن السحر لا بقاء له، وبالتالي فإن هذا الدين القائم على السحر أيضا لا بقاء له، وهو بذلك لا يستحق القبول أو الاستجابة ـ حسب زعم المكذبين ـ.

---

(١) الكرسف بضم الكاف وسكون الراء وضم السين: القطن. ينظر النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٦٣.

(٢) الفرق بفتح الفاء والراء: الخوف والفزع. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٣٨.

(٣) من خبر إسلام الطفيل رضي الله عنه، وهو من رواية ابن إسحاق دون إسناد: السيرة النبوية ١/ ٣٠٧، ورواه عنه البيهقي في الدلائل ٥/ ٣٦٠-٣٦١، وينظر: طبقات ابن سعد ٤/ ٢٣٧-٢٣٨، صفة الصفوة ١/ ٦٠٠-٦٠١، السيرة الحلبية ٢/ ٦٩-٧٠، سبل الهدى والرشاد ٢/ ٥٤٨-٥٤٩، الاستيعاب ٢/ ٧٥٩-٧٦٢، زاد المعاد ٣/ ٦٢٤-٦٢٥، الإصابة ٣/ ٥٢١، البداية والنهاية ٣/ ١٢٣-١٢٤.

# الشبهة الثانية

## القول بأن أتباع الدعوة من عامة الناس ومستضعفيهم

وهذا في واقع الدعوات صحيح في غالب الأمر، ومنها دعوة رسولنا ﷺ، إذ استجاب لها - خصوصا في بدايتها - المستضعفون من عامة الناس رضوان الله عليهم.

لكن المستكبرين يغالطون فيجعلون من هذا الأمر الطبعي شبهة يبررون بها رفضهم للدعوة، فيعلنون أن ما جاء به نبينا ﷺ لو كان فيه الخير والحق لما سبقهم إلى الإيمان به والاستجابة له أولئك الأقلون - في نظرهم - مالا وشأنا.

قال الله سبحانه:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١].

قال في التسهيل: "أي: لو كان الإسلام خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء، والقائلون لهذه المقالة أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب"(١).

يقول صاحب الأضواء: "أظهر أقوال العلماء في هذه الآية الكريمة أن الكافرين الذين قالوا للمؤمنين لو كان خيرا ما سبقونا إليه أنهم كفار مكة، وأن مرادهم أن فقراء المسلمين وضعفاءهم كبلال وعمار وصهيب وخباب ونحوهم أحقر عند الله من أن يختار لهم الطريق التي فيها الخير، وأنهم هم الذين لهم عند الله عظمة وجاه واستحقاق السبق لكل خير"(٢).

---

(١) التسهيل ٤/ ٤٢، وينظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٥٦، تفسير أبي السعود ٨/ ٨١.

(٢) أضواء البيان ٧/ ٣٨١.

فهم يعتبرون الشرف والرياسة الدينية معتمدة ومبنية على الرياسة الدنيوية، وبالتالي فلو كانت الدعوة قائمة على الحق والصدق والخير لكانوا هم المستحقين لها قبل هؤلاء الفقراء، السابقين لها دونهم.

ولما كان الواقع هو سبق أولئك الضعفاء لها دلّ ذلك ـ في زعمهم ـ على أن الدعوة باطلة بعيدة عن الحق والخير والهداية.

وليس ذلك بغريب على طبيعة المستكبرين، كما قالها من سبقهم لنوح عليه السلام:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ [هود: ٢٧].

فأكابر القوم لا ينظرون إلى دعوة نوح عليه السلام وما تحمله من الدلائل الموحية بصحتها، والبراهين الشاهدة بصدقها، ولكنهم ينظرون إلى السابقين إلى الاستجابة لها من ضعفاء الناس، فيجعلون ذلك مبررا يسوّغ لهم الحكم على دعوة نوح عليه السلام بالضلال والبطلان، إذ لو كانت الدعوة حقا لآمن بها ـ في تصورهم ـ أشراف القوم، وأصحاب الثروة والمكانة فيهم.

## الشبهة الثالثة

## الحكم على الدعوة بأنها غريبة على طبيعة المجتمع وعقيدته، خارجة عن مألوف الناس وتقاليدهم

فما يأتي به الرسل عليهم السلام من الدين الحق، والعقيدة الصحيحة، والمنهج الواضح، بوحي من الله سبحانه، هو ـ في نظر المكذبين ـ أمر لا تستسيغه طبيعة المجتمع، ولا تتقبله عادات البلد، وهو وضع غريب على الناس، لم يألفوه ولم يعهدوه، ولم يعرفوه في ماضيهم، ومن ثَمّ فإن ما جاء به الرسل عليهم السلام من الدين والعقيدة قضية مرفوضة من أساسها، لأنها نبتة لا جذور لها في المجتمع، خارجة عن الفكر الذي تربى عليه الجيل، ونشأ في كنفه، متعارضة مع العقيدة الدينية التي سلكها وارتضاها له دينا ومنهجا.

**وهذه المقولة نماذج في قصص القرآن الكريم، ومنها مايلي:**

**١. الاحتجاج بالمنهج الموروث عن الآباء والأجداد.**

تلك شبهة اعتادها المترفون المعاندون، يلبسونها ثوب الحجة والدليل، ويدافعون بها عن الضلال الذي يعيشونه، والباطل الذي يحيونه، في مواجهة المنهج الرباني في دعوة الرسل عليهم السلام.

**يقول الله تبارك وتعالى:**

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

قال ابن جرير في تفسير الآية: "﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾ وهم رؤساؤهم وكبراؤهم، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ أي: على ملة ودين ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ يعني: وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم، نفعل كالذي

فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون"(١).

هؤلاء المعاندون يفتقدون الحجة على ضلالهم، والبرهان على باطلهم، في الوقت الذي لا يرغبون فيه أصلا في النظر والتأمل، أو التفكر والتدبر، في دلائل الحق وشواهد الإيمان، ولذ يلجأون إلى الاحتجاج بالتقليد، والتشبث بمجرد المحاكاة، التي ينهزها مطلق التعصب، لا البينة أو الدليل، فيصرحون بأن منهجهم الذي يسيرون عليه هو ما وجدوا عليه آباءهم من قبل، وبالتالي فهم يعتبرونه الطريق القويم، وإن كان معوجا في نظر البراهين، ويجعلونه المنهج الحق، وإن كان مخالفا للدليل، ويرونه المسلك الصحيح، وإن ظهر سقوطه أمام الحجة.

فالاتباع لديهم ليس هو للدليل الصحيح، أو الحجة القوية، أو البرهان المبين، ولكنه لطريق الماضين السابقين وإن كانوا على الضلال المبين.

﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٤].

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب في التفكير ما واجه به المكذبون هودا عليه السلام مما حكاه الله عز وجل عنهم من قولهم:

﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٧-١٣٨].

يقول ابن كثير: "﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ بضم الخاء واللام(٢)، يعنون دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأولين من الآباء والأجداد، ونحن تابعون

---

(١) تفسير الطبري ٢٥/ ٦١ مع اختصار.

(٢) هذه قراءة عاصم ونافع وابن عامر وحمزة، وقرأ الباقون من السبعة بفتح الخاء وإسكان اللام. ينظر: سراج القارئ ص٣٠٧-٣٠٨.

لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا معاد، ولهذا قالوا: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يقول: دين الأولين، وقاله عكرمة وعطاء الخراساني وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير"[(١)].

وهذا الاتجاه منهم إنما هو اعتماد على مجرد التقليد، يلبسونه ثوب الحجة والبرهان أمام العامة من الناس.

**ونجد مثل ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام:**

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٣].

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٠-٧٤].

فهم يعترفون بأن لا قدرة لهذه الآلهة المزعومة على نفع عابديها، أو الإضرار بالممتنعين عن عبادتها، وهم يقرون بأنها لا تسمع دعاء الداعين لها، ومع ذلك يصرون على ما هم عليه من الشرك بالله سبحانه، وليس لهم في ذلك إلا التمسك بالتقليد، والإصرار على ما ورثوه من مناهج الشرك بالله عز وجل. وبالتالي فإن دعوة إبراهيم عليه السلام - في زعمهم - مادامت مخالفة للمنهج الموروث عن الآباء فهي جديرة بأن توصم بالبطلان، وتوصف بالضلال، مهما تضمنت من الأدلة والبراهين.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٢، وينظر: تفسير الطبري ١٩/ ٩٨، تفسير الصنعاني ٣/ ٧٥، تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٧-٢٧٩٨، الدر المنثور ٦/ ٣١٣-٣١٤، حجة القراءات ص٥١٨.

ونفس الشبهة كذلك يثيرها فرعون في مواجهة دعوة موسى عليه السلام ضمن المحاجة التي حكاها القرآن الكريم:

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ [طه: ٤٩-٥١].

قال ابن كثير: "أصح الأقوال في معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق، وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي الذين لم يعبدوا الله، أي فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره"(١).

وفرعون في هذا المقام يتصنع التشبث بمنهج الأولين ممن أشرك بالله وخرج عن توحيده وطاعته، ويجعل من التقليد حجة يخاصم بها ما جاء به موسى عليه السلام، ويبرّر بها ولوغه في مسلك الضلال والطغيان.

وهذا هو أيضًا منهج المكذبين بما جاء به رسولنا عليه الصلاة والسلام في الاحتجاج بما ورثوه عن آبائهم من عقائد فاسدة، ودين باطل. كما في قول الله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [لقمان: ٢١].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٥، وينظر: تفسير الطبري ١٦/ ١٧٣، فتح القدير ٣/ ٣٦٩، تفسير ابن عاشور ١٦/ ٢٣٤.

**وقوله سبحانه:**

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

**والأمة هنا بمعنى الدين والملة والطريقة[١].**

فهؤلاء المكذبون يجاهرون بأن مستندهم في إصرارهم على ما هم عليه من الدين الباطل هو تقليد آبائهم في دينهم وطريقتهم، وإن كانوا على جهل عظيم.

وذات الاحتجاج الباطل يتكرر:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [المائدة: ١٠٤].

يقول ابن كثير: "أي: إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه، وترك ما حرمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرق والمسالك"[٢].

وهكذا كان معيار الحلال والحرام في زعمهم، ومقياس الهدى والضلال في تصورهم، ومصدر التشريع عندهم، هو المنهج الموروث عن آبائهم، وأي دين يخالف هذا المنهج فهو أولى - في رأيهم - بأن يرد ويرفض، وأحرى بان يوصف بالضلال والخسران، مهما دلت عليه الدلائل، وساندته الحجج والبراهين، وشهدت له بأنه الحق المنزل من رب العالمين.

﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٤].

---

(١) ينظر: المفردات ص٣٣، التسهيل ٤/ ٢٧، بصائر ذوي التمييز ٢/ ٧٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٨.

**٢. الادعاء بأن الدعوة لم يسمع بها من قبل، ولذا فهي حرية بالتعجب والاستغراب.**

وممن صرح بذلك الملأ من قوم نوح عليه السلام كما قال جل وعلا:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

والمراد بقولهم: ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ "أي: بمثل دعوته"[١] عليه السلام.

فالدعوة ـ في زعم هؤلاء ـ دعوة غريبة مبتدعة، لا تستند إلى سابقة في عهود الآباء، ونتيجة هذه المقدمة عندهم أن ما جاء به نوح عليه السلام باطل ينبغي طرحه، وضلال يجب الحذر منه.

ويثير فرعون وملؤه الشبهة ذاتها بنفس الأسلوب كما قال جل شأنه:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القصص: ٣٦].

قال ابن كثير: "يعنون عبادة الله وحده لا شريك له، يقولون: ما رأينا أحدا من آبائنا على هذا الدين، ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى"[٢].

مع أن موسى عليه السلام ـ كما بينت الآية الكريمة ـ جاءهم بالدلائل البينة، والبراهين الواضحة، فلم يكن للمعاندين من حجة يعارضون بها الحق الساطع والمعجزة الخارقة غير التشبث بالتقليد كمبرر وشبهة يعتذرون بها عن الإذعان

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ٨٠، وينظر: تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ٩٢، تفسير البيضاوي ٢/ ١٠٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٩.

للحق، ويزجرون بها الناس عن الاستماع له ﷺ، أو الاستجابة له، حين يظهرون ما جاء به موسى ﷺ بأنه دين لا أصل له في أعراف المجتمع، ولا مستند له من الواقع، وغير معهود ولا مألوف في عقائد الناس وأفكارهم، بل هو دين جديد عجيب ومستغرب.

وهذا ما أراد فرعون أن يوهم به من حوله ويغالطهم به لما دعاه موسى ﷺ في بداية الأمر، كما قال جل وعلا:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٥].

فإن مما قصده فرعون بالاستفهام هنا إظهار التعجب والاستغراب الشديد من مقالة موسى ﷺ ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾: "أي: ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلها غيري"[(١)].

ومثل ذلك تعجب الملأ في قريش من قضية الوحدانية في دعوة رسولنا ﷺ إذ قالوا ما حكاه القرآن عنهم:

﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

فتوحيد الله تعالى في إلوهيته، بتوجيه العبادة له وحده دون سواه، هو أمر عجيب يستحق الاستغراب ـ لدى هؤلاء المستكبرين ـ بالنظر إلى ما ألفه الناس من تعدد الآلهة وإشراكها مع الله سبحانه في العبادة.

ومسألة التعجب هذه من عقيدة التوحيد إنما يقيمها الملأ المكذبون على أساس من التقليد الذي اعتاده العوام.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٣، وينظر: تفسير الواحدي ٢/ ٧٨٨، تفسير ابن عطية ٤/ ٢٢٩.

قال الألوسي: "ووجه تعجبهم أنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على تعدد الآلهة وواظبوا على عبادتها، وقد كان مدارهم في كل ما يأتون ويذرون التقليد، فيعدون خلاف ما اعتادوه عجيبا، بل محالا"(١).

**وحتى تكتمل الشبهة ويتم عقدها قالوا ـ ضمن ما قالوه مما حكاه القرآن عنهم ـ:**

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص: ٧].

يقول ابن كثير: "أي: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة:

قال مجاهد وقتادة وأبو زيد: يعنون دين قريش.

وقال غيرهم: يعنون النصرانية. قاله محمد بن كعب والسُّدِّى، وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يعني النصرانية، قالوا: لو كان هذا القرآن حقا أخبرتنا به النصارى"(٢).

فالملأ من قريش يبررون تكذيبهم ورفضهم لدعوته عليه الصلاة والسلام بأنها دعوة فيها غموض وغرابة، لم يسمع بها في الملة الآخرة، ومرادهم بذلك إما دين قريش كما روى ابن جرير عن مجاهد وغيره(٣)، فيكون مبررهم حينئذ معتمدا على تقليد من سبق من آبائهم الذين أخذوا عنهم الشرك بالله سبحانه وتعدد

---

(١) روح المعاني ٢٣/ ١٦٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٤٩، تفسير الزمخشري ٤/ ٧٥، تفسير ابن عطية ٤/ ٤٩٤، تفسير البيضاوي ٢/ ٣٠٧.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٢٣/ ١٢٧، تفسير مجاهد ٢/ ٥٤٧.

الآلهة، أو يكون مرادهم بالملة الآخرة دين النصرانية كما هو المروي عن ابن عباس ﷺ وغيره[١]، فيكون مقصدهم من ذلك التأكيد على غرابة دعوته عليه الصلاة والسلام، وأن ما جاءت به من التوحيد أمر غير مألوف ولا معهود، ولو كان كذلك لنقل عن النصارى.

قال صاحب الظلال في معرض حديثه عن هذه الشبهة من شبهات الملأ الكافرين: "..ثم يموهون على الناس بظواهر العقيدة القريبة منهم، عقيدة أهل الكتاب بعدما دخلت إليها الأساطير التي صرفتها عن التوحيد الخالص فيقولون: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ وكانت عقيدة التثليث قد شاعت في المسيحية، وأسطورة العزير قد شاعت كذلك في اليهودية، فكبراء قريش كانوا يشيرون إلى هذا وهم يقولون: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ ما سمعنا بهذا التوحيد المطلق لله الذي جاء به محمد ﷺ فما يقول إذن إلا اختلاقا"[٢].

وكما تعجبوا من قضية التوحيد، فقد تعجبوا كذلك من قضية اليوم الآخر وما يتضمنه من البعث والجزاء، وأظهروا استغرابهم الشديد من هذه العقيدة التي جاءهم بها رسول الله ﷺ بما يتلوه عليهم من وحي ربه سبحانه.

**وفي ذلك يقول الله تقدست أسماؤه:**

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢٣/ ١٢٦، تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٣٦، الدر المنثور ٧/ ١٤٦.

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠١٠، وما ذكره سيد هو القول الثالث في الآية باعتبار أن المراد بالملة الآخرة: اليهودية والنصرانية، وليس ببعيد عن القول الثاني. ينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٢، تفسير السمرقندي ٣/ ١٥٢، زاد المسير ٦/ ٣٢٠.

كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٤٨-٤٩].

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات: ١٥-١٧].

﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨١-٨٢].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ [النمل: ٦٧].

فالمكذبون بالدعوة ينكرون حصول البعث بعد الموت، ويجمعون إلى ذلك الإنكار التعجب والاستغراب من تلك العقيدة التي أثبتها القرآن الكريم، ويؤسسون استغرابهم وتعجبهم على تحول أجسامهم بعد الموت إلى تراب ورفات وعظام بالية، فكيف تعود أجسامهم بعد ذلك إلى الوضع الذي كانت عليه.

وهم بذلك ينكرون قدرة الله تبارك وتعالى حين يجعلون البعث قضية مستبعدة مستغربة، وأمرا مستحيلا عجيبا في الأعين والأذهان.

# المبحث الثاني
## شبهات حول الرسل عليهم السلام

يمكن تقسيم الشبهات حول الرسل عليهم السلام إلى أربعة أقسام، وذلك باعتبار الجانب الذي يقصد التشكيك فيه لدى الرسل عليهم السلام.

**وأوجز ذلك في المطالب التالية:**

المطلب الأول:

الشبهات التي يقصد بها التشكيك في الرسول عليه السلام من جهة حاله فيما جاء به.

المطلب الثاني:

الشبهات التي يقصد بها التشكيك في الرسول عليه السلام من جهة استحقاقه للرسالة وجدارته بالاتباع.

المطلب الثالث:

الشبهات التي يقصد بها التشكيك في الرسول عليه السلام من جهة إخلاصه.

المطلب الرابع:

الشبهات التي يقصد بها التشكيك في الرسول عليه السلام من جهة منهجه وأسلوبه في الحياة، وأثره في المجتمع.

وفيما يأتي ـ بمشيئة الله تعالى ـ تفصيل الحديث في هذه الأقسام.

## المطلب الأول

## الشبهات التي يقصد بها التشكيك في الرسول ﷺ من جهة حاله فيما جاء به

وتشتمل على الشبهات التالية:

**الشبهة الأولى**: اتهام الرسول ﷺ بأنه كاذب.

**الشبهة الثانية**: اتهام الرسول ﷺ بأنه شاعر.

**الشبهة الثالثة**: اتهام الرسول ﷺ بأنه كاهن.

**الشبهة الرابعة**: اتهام الرسول ﷺ بأنه ساحر.

# الشبهة الأولى

## اتهام الرسول ﷺ بأنه كاذب

**اتهم الرسل عليهم السلام كافة بهذه التهمة، وأثيرت حولهم هذه الشبهة.**

فهذا نبي الله نوح عليه السلام يخاطبه الملأ بما حكاه القرآن الكريم:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

وكذلك فعل الملأ من قوم هود عليه السلام:

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦].

واتهم صالح عليه السلام بأنه كذاب:

﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [القمر: ٢٥].

وفي قصة شعيب عليه السلام:

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٨٦].

وهو أيضًا من جملة اتهامات فرعون وملئه لنبي الله موسى عليه السلام:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤].

وكذلك حكى القرآن من قول فرعون عن موسى عليه السلام:

﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾ [غافر: ٣٧].

ويبدو أن اتجاه فرعون وأمثاله من الملأ المكذبين من قوم نوح أو هود أو شعيب عليهم السلام إلى اختيار التعبير بالظن دون اليقين إنما هو تلبيس أمام الناس، وتحسين لموقفهم، وتظاهر بالإنصاف، وإيهام بأنهم لا يحبون المجازفة في إطلاق الأحكام، فهم إنما يغلب على الظن عندهم أن الرسل كاذبون، وأن هذا هو ما يظهر للناظر في أمرهم والسامع لقولهم.

قال أبو السعود: "واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم إلى المجازفة"[(١)].

وتعرض رسولنا ﷺ لذات الاتهام، كما قال تعالى:

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤].

وممن أشاع عنه عليه الصلاة والسلام هذه الشبهة بأسلوب حاقد وسفيه عمه أبو لهب.

فعن رَبيعة بن عِبَاد[(٢)] رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية بسوق ذي المجاز[(٣)] وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. قال: يرددها مرارا، والناس مجتمعون عليه يتبعونه، وإذا وراءه رجل أحول ذو غديرتين[(٤)] وضيء

---

(١) تفسير أبي السعود ٤/ ٢٠١.

(٢) ربيعة بن عباد: بكسر العين وفتح الباء وتخفيفها. الإكمال ٦/ ٦١.

(٣) "ذو المجاز: سوق عند عرفة، كانت العرب إذا حجت أقامت بسوق عكاظ شهر شوال، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج". الروض الأنف ٢/ ١٦٩.

(٤) "أي ضفيرتين". بلوغ الأماني ٢٠/ ٢١٦.

الوجه، يقول: إنه صابئ(١) كاذب. فسألت من هذا فقالوا عمه أبو لهب"(٢).

وفي رواية طارق بن عبدالله ﷺ "يقول: يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذاب"(٣).

فرسول الله ﷺ الصادق الأمين قبل البعثة يصبح بعد بعثته - في زعمهم - كذابا بصيغة المبالغة.

ومما سبق يتبين أن من جملة شبهات المكذبين حول الرسل عليهم السلام الطعن في صحة نبواتهم، والتشكيك في صدق دعواهم بشأن الرسالة، واتهامهم بأنهم كاذبون بهذه الدعوى، كما صرح بذلك أيضًا بعض المكذبين في مواجهة من جاءهم من المرسلين(٤):

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾ [يس: ١٥].

---

(١) "يقال صبأ فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره". بلوغ الأماني ٢٠/ ٢١٦، وينظر: مقاييس اللغة ص٥٦٢.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي ١/ ٦١-٦٢، وأحمد: الفتح الرباني ٢٠/ ٢١٦، والطبراني كما في مجمع الزوائد ٦/ ٢٠، وجوّد الألباني إسناده: صحيح السيرة النبوية ص١٤٢، وحسنه أيضًا العودة: الغرباء الأولون ص٩٩-١٠١.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي ٢/ ٦٦٨-٦٦٩، والبيهقي بنحوه في دلائل النبوة ٥/ ٣٨٠، والطبراني كما في مجمع الزوائد ٦/ ٢٠، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٨٢ قال الأعظمي: إسناده صحيح، وحسنه أيضًا العودة: الغرباء الأولون ص١٠١.

(٤) هم المذكورون في سورة يس ابتداء من قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ آية ١٣، وقد اختلف في شأنهم المفسرون على قولين، أحدهما: أنهم رسل الله تعالى ابتداء، وهو الظاهر من الآيات الكريمة، والثاني: أنهم رسل عيسى عليه السلام. ينظر: تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٥-١٥٦، زاد المسير ٦/ ٢٦٦، تفسير القرطبي ١٥/ ١١، تفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٦-٥٦٧.

وبالتالي فإن هؤلاء الرسل عليهم السلام - في نظر المعاندين - لا يتلقون الوحي حقيقة عن الله سبحانه، وأن ما يسمونه وحيا إلهيا هو في الواقع افتراء يفترونه من عند أنفسهم أو بمساعدة من غيرهم ثم ينسبونه إلى الله سبحانه زورا منهم وكذبا وبهتانا.

هذا ما سجله القرآن الكريم من قول المكذبين عن نبي الله نوح عليه السلام:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود: ٣٥][1].

وعن هود عليه السلام:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [المؤمنون: ٣٨].

وعن نبينا عليه الصلاة والسلام:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٣].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [السجدة: ٣].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [الأحقاف: ٨].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ ﴾ [هود: ١٣].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الشورى: ٢٤].

---

(١) هذا هو الظاهر في سياق الآيات، إذ أن ما قبلها وما بعدها يتناول قصة نوح عليه السلام. ينظر: تفسير القرطبي ٩/ ٢١.

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٥].

وفي تكرار التعبير نفسه في الآيات الكريمة دلالة على أن إثارة هذه الشبهة متكرر ومتداول بينهم بشكل مستمر.

وهم في هذا الاتهام يحكمون على الرسل عليهم السلام بأنهم مفترون لما جاءوا به من الوحي الإلهي، اختلقوه وافتعلوه من عند أنفسهم ثم نسبوه بعد ذلك وأسندوه إلى الله تبارك وتعالى افتراء منهم.

وقد اتهم رسولنا ﷺ - إضافة إلى ذلك - بأن له في هذا الافتراء - بزعمهم - أعوانا يساعدونه ويساندونه في إبراز الأساطير المختلقة في ثوب الوحي الإلهي.

قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤-٥].

فالقرآن الكريم - فيما يثيره المستكبرون من أمثال النَّضْر بن الحارث - ليس وحيا منزلا في حقيقته، إنما هو باطل يختلقه نبي الله عليه الصلاة والسلام، ويستعين في هذا الاتجاه برجال من اليهود يقدمون له في ذلك العون والمساعدة.

قال ابن جرير: "﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ يقول: وأعان محمدا على هذا الإفك الذي افتراه يهود"(١).

فهو عليه الصلاة والسلام - بزعمهم - يتتلمذ على يهود، ويتلقى عنهم، ويجد منهم التعاون الوثيق، إذ يجمعون له أحاديث السابقين وأخبار الأمم ويلقونها

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ١٨١، وينظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٧، تفسير البغوي ٣/ ٣٦١، تفسير البيضاوي ٢/ ١٣٥.

إليه، وهو بدوره يعيد تأليف ما سمعه، ويعبر عنه بعبارته وأسلوبه، في أخبار يحكيها، وأقوال يرددها، يدعي أنها من وحي السماء، بينما هي في الواقع من أحاديث الأولين المفتعلة المختلقة.

وحتى يتم عقد الشبهة هنا، وتكتمل الصورة في الأذهان عن افترائه ﷺ - في زعمهم - وتقديم اليهود العون له، يبينون كيفية هذه الإعانة:

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٥].

فهم يؤكدون أنه عليه الصلاة والسلام لما كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، فإنه يطلب كتابة هذه الأساطير - في زعمهم - ممن يعينونه، ثم يقرأ عليه ما جمع وكتب في أوقات مختلفة صباحا ومساء، في خفية عن أعين الناس، ليلقيها بعد ذلك بتعبيره على أنها وحي الله تعالى.

ويستمر القوم في محاولاتهم الإيحاء للعامة بأن المورد الذي يتلقى عنه ﷺ ليس هو الوحي الإلهي، وإنما هو مورد أرضي ومصدر بشري يتلقى عنه ويتعلم:

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾ [الدخان: ١٤].

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ ﴾ [النحل: ١٠٣].

وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت أن محمدا إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش، وكان بياعا يبيع عند الصفا، وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذا كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء

اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه"[١].

**ولذا رد الله ﷻ عليهم بقوله سبحانه:**

﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ[٢] إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقد وردت أقوال عديدة[٣] في الرجل الأعجمي المقصود بكلام أهل الشرك من قريش، ومن تلك الأقوال ما رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾، قالوا: "إنما يعلم محمدًا عبد ابن الحضرمي، وهو صاحب الكتب"[٤].

وأورد القرطبي عددا من تلك الأقوال في الرجل الذي يعنيه المشركون ثم قال: "والكل محتمل، فإن النبي ﷺ ربما جلس إليهم في أوقات مختلفة ليعلمهم مما علمه الله، وكان ذلك بمكة. وقال النحاس: وهذه الأقوال ليست بمتناقضة، لأنه يجوز أن يكونوا أومؤوا إلى هؤلاء جميعا وزعموا أنهم يعلمونه"[٥].

والذي يعنينا هنا هو ادعاء هؤلاء المجرمين بأن الرسول ﷺ إنما يعلمه ما يأتي به من القرآن بشر، كما صرحت الآية الكريمة.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٦، وينظر: النبأ العظيم ص٦٣-٦٦.

(٢) قال ابن قتيبة: (يلحدون إليه) أي: يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمك. وأصل الإلحاد: "الميل". تفسير غريب القرآن ص٢٤٩.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٤/ ١٧٧-١٧٩، تفسير السمعاني ٣/ ٢٠٢، زاد المسير ٤/ ٣٥٩-٣٦٠، تفسير القرطبي ١٠/ ١١٦-١١٧، تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٦-٥٨٧، الدر المنثور ٥/ ١٦٧-١٦٨، فتح القدير ٣/ ١٩٤-١٩٦، الشفا ص٣٤٥-٣٤٦.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي ٢/ ٣٨٩، وينظر: الدر المنثور ٥/ ١٦٧-١٦٨، الإتقان ٤/ ٨٦، السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١٦٥-١٦٦، صحيح السيرة النبوية ص٢١٨-٢١٩.

(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ١١٧. وينظر معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٦-١٠٧.

ثم إن المضلّلين من أعداء الدعوات كانوا يبذلون محاولاتهم المستمرة في تأصيل شبهة الكذب على الرسل عليهم السلام أمام العامة في كل فرصة وبكل وسيلة.

ومن ذلك طلب الآيات واستعجال العذاب، فهم يقصدون من ذلك ـ ضمن مقاصدهم ـ اتساع دائرة الشبهة التي تشكك في صدق الرسل عليهم السلام، وإظهارهم بمظهر الأدعياء الذين يفتقدون الدليل والبينة على أحقية ما جاؤوا به.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في قصة نوح عليه السلام:

﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢].

وفي قصة هود عليه السلام:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وفي قصة صالح عليه السلام:

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٤].

وفي قصة شعيب عليه السلام:

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٧].

وفي قصة موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٦].

ومن قول المكذبين لرسولنا ﷺ:

﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الحجر: ٧].

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨].

بل إن كفار قريش لما أنكروا البعث واستبعدوه، أرادوا أن يؤكدوا كذب نبي الله ﷺ - بزعمهم - في هذه القضية بأن السابقين وعدوا بها مرارا، ولم يتحقق الوعد، ومن ثَمّ فهي أكاذيب متكررة:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ۝٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [النمل: ٦٧-٦٨].

﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٨١-٨٣].

ومن تلك المحاولات أيضًا في تأكيد نسبة الكذب إلى الرسل عليهم السلام ما فعله فرعون حين أراد بأسلوب جاهل ماكر أن يظهر نبي الله موسى عليه السلام أمام الناس في صورة الكاذب المفتري، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

**وفي موضع أخر من القرآن الكريم يقول سبحانه:**

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

والآيات الكريمة تبين أن فرعون طلب من وزيره هامان أن يشرف على بناء صرح، وهو البناء العالي أو القصر العظيم الشاهق(١).

(١) ينظر: تفسير الواحدي ٢/ ٩٤٥، تفسير السمعاني ٥/ ٢٠، تفسير ابن عطية ٤/ ٥٦٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٧٩.

قال السجستاني: (كل بناء مشرف من قصر أو غيره فهو صرح)[١].

والهدف المعلن لهذا البناء أن يتمكن فرعون ـ بزعمه ـ من بلوغ أسباب السموات "أي: طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها"[٢]، ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾ قال ابن جرير: "يقول: وإني لأظن موسى كاذبا فيما يقول ويدعي من أن له في السماء ربا أرسله إلينا"[٣].

قال ابن كثير: "وإنما كان مقصود فرعون أن يصد الناس عن تصديق موسى عليه السلام وأن يحثهم على تكذيبه"[٤].

إن فرعون يريد إيهام العامة بأنه ـ في مشروعه لبناء الصرح ـ بصدد إيجاد دليل مادي يمكنه من كشف خبايا موسى عليه السلام، وتجلية حاله للناس.

وهدفه النهائي أن يقرر في الأذهان أن موسى عليه السلام كاذب فيما يدعيه، وأن لا حقيقة لما جاء به، وسيثبت ذلك إذا تم البناء، خصوصا وأن فرعون قد قدم لما سيحكم به على موسى عليه السلام، بل قد حكم فعلًا ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾.

ولعل فرعون أيضا يقصد إلهاء الناس فترة من الزمن ينتظرون فيها تنفيذ المشروع وإتمامه، والذي سيمثل دليلا ملموسا على وضع موسى عليه السلام، ونهاية القول فيه.

والعامة بطبيعة الحال طيلة هذه المدة ـ وقد استخفهم فرعون ـ سيتناقلون

---

(١) غريب القرآن ص٣٠٠.

(٢) تفسير الزمخشري ٤/ ١٧٢، تفسير النسفي ٣/ ٢٥١.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٦.

(٤) قصص الأنبياء ٢/ ٣٩٤، وينظر: الروض الريان ٢/ ٣٨٦.

الاحتمال الأكبر القائل بكذب موسى عليه السلام، وستكون هذه الشبهة هي الغالبة بينهم إلى حين، خصوصا وأن إعلان فرعون ماثل أمامهم ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾.

وفرعون بهذا المشروع أيضا سيظهر بصورة العادل المنصف، الذي يبحث عن الحقائق، ويبذل الجهود في الوصول إلى الأدلة المادية التي تكشف الواقع الحقيقي لهذا الداعية، وأنه سيستمر في محاولاته للوصول إلى الحق في المسألة.

ثم هو تمهيد من فرعون أيضًا وتهيئة ليقبل القوم ما يقرره لهم بعد ذلك في شأن موسى عليه السلام، وما يحكم به عليه، إذ سيتلقاه الجمهور الغافل بثقة واطمئنان، لأن الطاغية قد وعدهم بالبحث عن الحقيقة، وهاهو قد وصل إليها.

**والقرآن الكريم يخبرنا عن خطبه فرعون التي حشر الناس للاستماع لها:**

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٣-٢٤].

بدون تلكؤ هذه المرة، ولا مجال في عبارته لاحتمال آخر، في مقابل ما قاله سابقا فيما سجله القرآن ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

وفي عهد رسولنا ﷺ كان المكذبون المعاندون يتحينون مناسبة النسخ في القرآن الكريم لتأصيل شبهة الكذب من جديد حوله عليه الصلاة والسلام.

**قال تعالى:**

﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ١٠١].

إذ كيف يأتي نبينا ﷺ - في زعمهم - بآية، ثم ينسخها ويزيلها، ويجيء اليوم بحكم، ثم يبطله في الغد وينسخه بحكم آخر، فهذا التغيير والتبديل - حسب شبهتهم - شاهد على أن المسألة كلها قائمة على الافتراء والكذب، ولا أصل لها

ولا حقيقة.

وتلك شبهة يمكن أن يستجيب لها من لا يتدبر الأمور.

أما اليهود خاصة فإن من طرق أحبارهم في إظهار رسول الله ﷺ بصورة الكاذب، ما فعلوه من التحريف والتغيير والكتمان لصفته عليه الصلاة والسلام في التوراة.

**قال جل وعلا متوعدا إياهم:**

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

قال الألوسي: "والآية نزلت في أحبار اليهود الذين خافوا أن تذهب رياستهم بإبقاء صفة النبي ﷺ على حالها فغيروها"(١).

ومن ثَمّ فإن رسولنا عليه الصلاة والسلام ـ بزعمهم ـ ليس هو الموصوف عندهم في التوراة، وليس هو بالذي كانوا يعرفون، ولا بالذي كانوا يذكرون ويستفتحون به على الخصوم.

**وقال سبحانه في توعد هؤلاء أيضًا:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

---

(١) روح المعاني ١/ ٣٠٣، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٥٤، تفسير البغوي ١/ ٨٩، دلائل النبوة ٢/ ٥٣٧، لباب النقول ص٢٠.

قال ابن جرير: "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أحبار اليهود الذين كتموا الناس أمر محمد ﷺ ونبوته، وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة"[1].

وهم بهذا الكتمان والتحريف يهدفون إلى تأكيد اتهام رسولنا عليه الصلاة والسلام بالكذب والبهتان والافتراء أمام عامة اليهود وغيرهم من الكفرة والمشركين.

---

(١) تفسير الطبري ٢/ ٨٩، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٨٥، أسباب النزول ص٤٧، تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٦، الدر المنثور ١/ ٤٠٩.

## الشبهة الثانية

## اتهام الرسول ﷺ بأنه شاعر

كان من ضمن الشبهات التي أثيرت حول رسول الله ﷺ القول بأنه فيما جاء به شاعر، وأن ما يأتي به من القرآن، المتميز بالبلاغة في النظم والفصاحة في الأسلوب، ليس ببعيد في حقيقته عن الشعر الذي ينطق به أمثاله من الشعراء.

**ذلك ما ذكره الله تبارك وتعالى عن طغاة المشركين:**

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء: ٥].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠].

وهم أعْرف الناس بسموّ القرآن عن الشعر، لكنه الاتهام المجرّد، باعثه الكيد والمكابرة.

يقول الرافعي: "وإنا لنظن أن تهمة النبي ﷺ بأنه شاعر لم تكن ابتداء إلا من قبل بعض اليهود، ثم تعلّق بها بعض العرب مكابرة، فإنهم ليعرفون أن القرآن ليس بشعر من شعرهم، ولا هو في أوزانه وأعاريضه وفنونه وطرقه، ولكنهم تجوّزوا إلى ذلك ببراعة العبارة، وسموّ التركيب..."(١).

ولقد كانوا يجمعون ـ أحيانا ـ فيما يثيرونه حوله عليه الصلاة والسلام بين الشبهتين: الشعر والجنون، كما قال سبحانه:

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾ [الصافات: ٣٦].

قال ابن كثير: "أي: أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر

---

(١) إعجاز القرآن ص١٦٢، وينظر ص ٢٤٧، البرهان في علوم القرآن ٢/ ١١٦.

المجنون، يعنون رسول الله ﷺ"[١].

وقد دفع الله جل وعلا هذه الشبهة عن نبيه ﷺ فقال سبحانه:

﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١].

مما يشير إلى تداول هذه الشبهة بينهم ضمن سائر اتهاماتهم وشبهاتهم التي يشيعونها حوله عليه الصلاة والسلام.

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٦.

# الشبهة الثالثة

## اتهام الرسول ﷺ بأنه كاهن

في القرآن الكريم ما يشير إلى أن هذه الشبهة أثيرت حول رسول الله ﷺ ضمن الشبهات التي أشاعها عنه كفار قريش.

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٣].

وقال ﷻ مخاطبا نبيه ﷺ:

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩].

هذه الآيات الكريمة تشير إلى أن المشركين كانوا قد أشاعوا عنه عليه الصلاة والسلام أنه فيما جاء به كاهن(١) من الكهان يتلقى عن الجن، لا رسول يتلقى عن الله سبحانه، وما جاء به من القرآن إنْ هو إلا تأليف من مثل قول الكهان وسجعهم.

ويظهر أن سبب إثارة هذه الشبهة أن الكبراء المكذبين يلاحظون ما في القرآن يتلوه رسول الله ﷺ من أسلوب معجز لا يرونه في كلام البشر، فكان لابد لهم من

---

(١) الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار.. وقد كان في العرب كهنة يزعم بعضهم أن له تابعا من الجن ورئيا يلقي إليه الأخبار. كما كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين فيستميلون بها القلوب ويستصغون إليها الأسماع.

ينظر: لسان العرب ٥/ ٣٩٥٠، النهاية ٤/ ٢١٤-٢١٥، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٤١٨-٤١٩.

علة يؤسسون عليها موقف التكذيب، فوجدوا في وصمه ﷺ بأنه كاهن مبررا معقولا ـ في نظرهم ـ أمام عامة الناس، بناء على ما هو متداول لديهم من أن الكاهن له علاقة بالجن، يأتون على لسانه بالكلام الغريب العجيب.

يقول صاحب الظلال: "ولقد كان مما تقوّل به المشركون على القرآن وعلى رسول الله ﷺ قولهم إنه شاعر، وإنه كاهن، متأثرين في هذا بشبهة سطحية منشؤها أن هذا القول فائق في طبيعته على كلام البشر، وأن الشاعر في وهمهم له رَئِي(١) من الجن يأتيه بالقول الفائق، وأن الكاهن كذلك متصل بالجن الذين يمدونه بعلم ما وراء الواقع، وهي شبهة تسقط عند أقل تدبر لطبيعة القرآن والرسالة، وطبيعة الشعر أو الكهانة"(٢).

(١) "قال ابن الأنباري: به رئي من الجن بوزن رعي، وهو الذي يعتاد الإنسان من الجن". لسان العرب ٣/ ١٥٤١.

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٨٦. وينظر: إعجاز القرآن ص٢٠٤.

## الشبهة الرابعة

## اتهام الرسول ﷺ بأنه ساحر

تكرر هذا الاتهام في مواجهة الرسل عليهم السلام كما تقرره الآية الكريمة:

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٥٢].

ويبرز عرض هذه الشبهة في القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام، ورسولنا محمد عليه الصلاة والسلام.

**يقول الله تعالى:**

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُواْ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤].

فالآية الكريمة تبين أن نبي الله موسى عليه السلام جاء بما يؤيد نبوته ويؤكد رسالته، من الآية البينة، والمعجزة القاطعة، ومع ذلك فقد سارع فرعون ومن مالأه إلى مجابهته بالاتهام المباشر له بأنه ساحر كذاب.

وفي آية أخرى نلحظ تحرك فرعون ليوسع دائرة المتأثرين بهذه الشبهة، فيطرحها أمام القادة من حوله، في ثوب المستشير لهم الراغب في رأيهم، ومقصده التأثير فيهم ليشاركوه رأيه في موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٥].

قال الزمخشري: "أي: عالم بالسحر، ماهر فيه، قد أخذ عيون الناس بخدعة

من خدعه"(١).

إن موسى عليه السلام ـ في زعم فرعون ـ ليس مجرد ساحر عادي من جملة السحرة، ولكنه ساحر عليم، صاحب مهارة وبراعة، وما جاء به من الخوارق في الظاهر إنما هو في الواقع من قبيل السحر، لا من قبيل المعجزات، ومن ثَمّ فإن فرعون يُظْهر أمام حاشيته الخشية من أن يستعمل موسى عليه السلام مهارته وإبداعه في صنعة السحر ليجمع من حوله المؤيدين والأتباع، فيسيطر على البلاد، ويقضي على مكانة السادة المتنفّذين فيها.

ويواجه فرعون بهذه المقولة الكاذبة نبي الله موسى عليه السلام:

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٥٧].

ويتلقف الملأ من حاشية فرعون هذه الشبهة، ليتبنّوا إثارتها من جديد، ويعملوا على إشاعتها بين الجماهير، فيتهموا موسى عليه السلام بالأسلوب ذاته:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

بلغ في علم السحر غايته، ووصل فيه نهايته، ولذلك جاء بما جاء به من الخوارق والعجائب.

وينخدع عامة الناس بهذه الشبهة بتمويه من فرعون وملئه، فيصبح موسى في نظر الكثيرين ساحرا ينبغي الحذر منه.

ومن هؤلاء كان جموع السحرة ـ قبل أن يؤمنوا ـ والذين استعان بهم فرعون للقضاء على دعوة الحق، إذ أعادوا ما استقر في أذهانهم من الشبهة، وأسروا بها

---

(١) تفسير الزمخشري ٢/ ١٣١، وينظر: تفسير السمعاني ٤/ ٤٤، تفسير الجلالين ص٤٨٢، نظم الدرر ٥/ ٣٥٧.

النجوى كما حكى القرآن الكريم:

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾ [طه: ٦٢-٦٣].

ولما أظهر الله سبحانه الحق على يد موسى ﷺ، وآمن السحرة لما تيقنوا أن ما جاء به ﷺ ليس هو من قبيل ما يفعلونه من السحر، وإنما هو معجزة خارقة لا يقدر عليها إلا رب العالمين.

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٧-١٢٢].

لما حصل هذا الإيمان من السحرة، وفوجئ فرعون بهذه النتيجة التي لم تكن تخطر له على بال، خشي من العاقبة الوخيمة على مركزه، وخاف أن تتخذ الجماهير قرارها بالدخول في دين موسى ﷺ، حين يظهر لها أن انضمام السحرة لهذا الدين فيه دلالة على أنهم ـ وهم العالمون بالسحر ـ تيقنوا أن ما جاءهم به موسى ﷺ حق لا يشوبه باطل السحر، وإنما هو آيات بينات من رب العالمين.

فكان أن حرك فرعون كيده ومكره من جديد، ولبّس على القوم، وكرر لهم الشبهة ذاتها، ولكن بشيء من الإضافة والتجديد، لتناسب ما استجد من الوقائع والأحداث، وحتى يمكن أن تجد لها في النفوس مكانا متقبلا، وذلك بإعلانه أن ما حصل ليس سببه المعجزة مع موسى ﷺ، ولكنها المؤامرة والمواطأة التي حبك

خيوطها السحرة مع موسى عليه السلام، وقوام هذه المؤامرة - في زعمه - هو السحر كذلك، فهؤلاء سحرة كما يعلم الناس، وموسى عليه السلام هو كبيرهم في هذه الصفة والمهنة، فاجتمعت جهودهم إثر اتفاق وإعداد سابق، وأنتجت ما رآه الناس.

**ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن فرعون:**

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١].

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

فأوهم الناس أن ما جاء به موسى سحر من جنس سحرهم، بل وصفه بأنه كبير السحرة وأستاذهم الذي يتلقون عنه.

قال في فتح القدير: "وإنما اعترف له بكونه كبيرهم مع كونه لا يحبّ الاعتراف بشيء يرتفع به شأن موسى، لأنه قد علم كل من حضر أن ما جاء به موسى أبهر مما جاء به السحرة، فأراد أن يشكّك على الناس بأن هذا الذي شاهدتم، وإن كان قد فاق على ما فعله هؤلاء السحرة، فهو فعل كبيرهم ومن هو أستاذهم الذي أخذوا عنه هذه الصناعة، فلا تظنوا أنه فعل لا يقدر عليه البشر، وأنه من فعل الرب الذي يدعوا إليه موسى"(١).

وهكذا فكلما جاء موسى عليه السلام بآية معجزة جعل المكابرون من هذه الآية وقودا يزيدون بها شبهتهم اشتعالا وإثارة، فيجعلون الآية الخارقة على يده عليه السلام دليلا ماديا جديدا على تفننه في السحر، وتقلبه في صناعته، وأنه ما جاء بها إلا ليزداد لهم سحرا.

---

(١) فتح القدير ٤/ ٩٩.

**يقول الله تعالى:**

﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

"أي: لتسحر بتلك الآية أعيننا وتشبّه علينا ﴿ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: مصدقين لك ومؤمنين بنبوتك أصلاً"(١).

وزيادة في الإيهام من فرعون لقومه كان يظهر التردد ـ أحيانا ـ في شأن موسى عليه السلام بين كونه ساحر وكونه مجنونا، وهو بذلك التردد بين الوصفين يظهر أمام العامة بصورة الباحث عن الحق في أمر موسى عليه السلام.

**يقول الله تعالى:**

﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٣٨-٣٩].

قال الشوكاني: "فردد فيما رآه من أحوال موسى بين كونه ساحرا أو مجنونا، وهذا من اللعين مغالطة وإيهام لقومه"(٢).

وكما اتهم موسى عليه السلام بأنه ساحر، فقد اتهم رسولنا ﷺ بنفس التهمة، وأثيرت حوله ذات الشبهة.

**قال تعالى عن كفار قريش:**

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[ص: ٤].

---

(١) روح المعاني ٩/ ٣٣، وينظر نظم الدرر ٣/ ٨٩.

(٢) فتح القدير ٥/ ٩٠.

فهم حين أنكروا رسالته، وتعجبوا من أن يكون النذير منهم، كان لا بد من أن يقولوا فيه قولا ليبرروا صنيعهم، وليخدعوا غيرهم، ولينفروهم من دعوته عليه الصلاة والسلام، فوصفوه ـ ضمن أوصافهم وشبهاتهم ـ بأنه ساحر، وأن ما جاء به مما يدعي أنه وحي من السماء إنما هو في حقيقته مظهر من مظاهر السحر.

**وقال سبحانه أيضًا:**

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

وفي مقولتهم هذه تأكيد للاتهام، ووصف له عليه الصلاة والسلام بالمهارة فيه، فهو ساحر مبين متقن للسحر ظاهر في صنعته.

**ومن هؤلاء المضلّلين المثيرين لهذه الشبهة: الوليد بن المغيرة، والذي نزل فيه قول الله جل وعلا:**

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ١٨-٢٥].

قال ابن كثير: "هذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش"(١).

وهو القائل لنفر من رؤوس القوم ـ بعد أن استمع إلى آرائهم في الشبهة المناسب إشاعتها حول رسول الله ﷺ بين القادمين إلى مكة في الموسم ـ ".. ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر،

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٢، وينظر: تفسير الطبري ٢٩/ ١٥٢، الدر المنثور ٨/ ٣٢٩-٣٣٠.

فتقولوا: هو ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وبين زوجته، وبين المرء وبين عشيرته.."[1].

ولا شك أن شبهتهم بهذه الصورة تخيف من يتلقاها من الجموع الجاهلة، وتزرع الفزع في نفوسهم من مجرد الاقتراب منه أو مجالسته عليه الصلاة والسلام، حتى لا يلحقهم شيء من آثار ما يفعله من السحر، كما يزعم المعاندون.

ولما انشق القمر بتقدير من الله جل شأنه تأييدا لرسوله عليه الصلاة والسلام كما في رواية أنس ﷺ "أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقّتين حتى رأوا حراء بينهما"[2]، لما حصل ذلك أمام بعض الملأ من قريش وشاهدوه معاينة كان الأولى بهم أن يستجيبوا لدعوة رسول الله ﷺ وقد تحقق لهم صدقه، لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل استغلوا تلك الحادثة ليثيروا شبهتهم، ويشيعوا الاتهام لرسول الله ﷺ.

فعن جُبَيْر بن مُطْعِم[3] ﷺ قال: "انشق القمر على عهد النبي ﷺ، صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا سحرنا محمد..."[4].

فما كان هذا الانشقاق للقمر - حسب شبهتهم - إلا نتيجة من نتائج السحر الذي يقوم به نبي الله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الخبر بتمامه رواه البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما ٢/ ٢٠٠، وينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٠/ ٢٠٣-٢٠٤، البداية والنهاية ٣/ ٧٩، البرهان في علوم القرآن ٢/ ١١٠-١١١، الشفا ص٢٨١-٢٨٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر ٣/ ١٤٠٤، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر ٣/ ٢١٥٩.

(٣) جبير: بضم الجيم وفتح الباء، بن مطعم: بضم الميم وسكون الطاء وكسر العين. ينظر: المغني ص٥٧.

(٤) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة القمر ٥/ ٣٩٨، والبيهقي بنحوه في الدلائل ٢/ ٢٦٨، وأحمد: الفتح الرباني ٢٠/ ٢٢٢، قال البنا: إسناده جيد، وينظر: تحفة الأحوذي ٨/ ٢٧٤.

## المطلب الثاني

## الشبهات التي يقصد بها التشكيك في الرسول ﷺ من جهة استحقاقه للرسالة وجدارته بالاتباع

وتشتمل على الشبهات التالية:

**الشبهة الأولى:** لا يمكن للرسول أن يكون بشرا بزعمهم.

**الشبهة الثانية:** اتهام الرسول ﷺ بالجنون.

**الشبهة الثالثة:** اتهام الرسول ﷺ بأنه مسحور.

**الشبهة الرابعة:** اتهام الرسول ﷺ بالسفه والضلال.

**الشبهة الخامسة:** لا يمكن للرسول أن يكون فقيرا أو بعيدا عن الوجاهة باعتقادهم.

**الشبهة السادسة:** القول بأن الرسول ﷺ لم يتبعه أكابر القوم، مما يشكّك في مقام النبوة والرسالة. حسب تصورهم ومقياسهم الخاطئ.

# الشبهة الأولى
## لا يمكن للرسول أن يكون بشرا بزعمهم

تلك مغالطة تكررت كثيرا من الملأ المستكبرين، يبررون بها إعلانهم للتكذيب، ودعوتهم عوام الناس إلى رفض الاستجابة لما جاء به الرسل عليهم السلام من الدين.

ذلك أنهم لا يتأملون في الحجة والبرهان مع الرسول عليه السلام، وإنما ينظرون إلى الشخص والصورة، والهيئة والشكل، أملا منهم في التوصل إلى شبهة تجد عند الجمهور القبول، وتزرع في نفوسهم النفور من اتباع الرسول، فوجدوا بغيتهم هذه ـ حسب تصورهم ـ في بشرية الرسل عليهم السلام.

ومضمون هذه الشبهة أن الرسول عليه السلام بشر، يحمل نفس الصفات البشرية، فهو يأكل ويشرب، ويعمل ويكدح، ويسعى ويتكسب، ويجهد وينصب، ويحتاج كاحتياج غيره من البشر، ومن كان حاله كذلك فليس مستحقا لمرتبة الرسالة، وليس مؤهلا لمنصب النبوة.

ولو كان ما يقوله الرسول عليه السلام في إرادة الله إرسال الرسل حقا، لكان الرسول ـ في زعمهم ـ ملكا من الملائكة، يختلف عن طبيعة البشر وصفاتهم واحتياجاتهم، ويتميز عنهم بخصائصه الملائكية التي تؤهله للرسالة والنبوة.

فإذا ما ادعى الرسالة بشر فإن ذلك دلالة على كذبه وبهتانه، إذ يستحيل أن يكون الرسول بشرا، ومن ثَمّ فإنه لا يستحق الاتباع.

هذه المقولة الساذجة، وهذه الشبهة المضلّلة، والتي تعتمد على المغالطة، أثارها المكذبون طويلا في مواجهة الرسل عليهم السلام، كما ينطق بذلك قول الله جل وعلا:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن: ٥-٦].

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم: ٩-١٠].

فالمكذبون من كل أمة في تاريخ الرسل عليهم السلام يحتجون على كفرهم وتكذيبهم بأن الرسل بشر وليسوا من الملائكة، وهم ينكرون أن تكون الرسالة لبشر، ويستبعدون أن يدلهم على طريق الهداية واحد من الجنس البشري، يماثلهم في الأكل والشرب وسائر صفات البشر.

هذه الشبهة كانت في مقدمة الشبهات التي أثارها أكابر المجرمين من قوم نوح عليه السلام، في خطابهم الذي واجهوا به نبيّهم، كما في قول الله سبحانه:

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ [هود: ٢٧].

كما كانت في مقدمة الشبهات التي أثاروها أمام غيرهم من عامة الناس:

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

فنبي الله نوح ﷺ لا يختلف عنهم في الجنس، وهو مثلهم في الخصائص البشرية، والمطالب الحيوية، ومن ثَمّ ـ وهنا تبدأ المغالطة ـ فلا يصح أن يكون رسولا، ولا يستحق أن ينال هذه المرتبة، مرتبة النبوة والرسالة، لأنه بشر، والرسول لا يكون أبدا من البشر، ومقصدهم في ذلك أن يثبتوا أن نوحا ﷺ كاذب في ادعائه، وأن الله لم يرسل رسولا أصلا.

ثم يؤكدون شبهتهم من طريق آخر، إذ يزعمون أنه لو كانت هناك إرادة لله تعالى في إرسال رسول إلى البشر لكان هذا الرسول من الملائكة لا من البشر، لأن الملائكة أعظم مكانة وأكبر قدرا، فهم المستحقون لمنصب النبوة، ومرتبة الرسالة، ولما كان هذا المدعي للرسالة ـ في زعمهم ـ ليس من هذا الجنس الملائكي كان ذلك دليلا على كذبه فيما جاء به.

ويثير الملأ من عاد الشبهة ذاتها عن نبي الله هود ﷺ كما في قول الله سبحانه:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣-٣٤].

وهم يقررون المماثلة في البشرية بوصف هود ﷺ بأنه يأكل مثلهم ويشرب مثلهم، وبالتالي فهو محتاج كاحتياجهم، ولذا فلا يرقى ـ في زعمهم ـ إلى أن يكون في منصب النبوة والرسالة، والمغبون عندهم من يصدق ادعائه ويسير على نهجه، وقد قطعوا بكذبه مادام بشرا مثلهم ﷺ.

وهكذا قالت ثمود لرسولهم صالح ﷺ:

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٤].

أي: "إنك بشر مثلنا فكيف تكون نبيا"[(١)].

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٠

ولذا أعلنوا استبعادهم التفكير في اتباعه كما قال تعالى عنهم:

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر: ٢٤].

ويكرر المكذبون من عاد وثمود مقولة السابقين بأن الرسل لابد أن يكونوا من جنس الملائكة، كما قال سبحانه عنهم:

﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [فصلت: ١٤].

يقول الرازي: "يعني أنهم كذبوا أولئك الرسل وقالوا: الدليل على كونكم كاذبين أنه تعالى لو شاء إرسال الرسل إلى البشر لجعل رسله من زمرة الملائكة، لأن إرسال الملائكة إلى الخلق أفضى إلى المقصود من البعثة والرسالة، ولما ذكروا هذه الشبهة قالوا: ﴿ فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ معناه: فإذًا أنتم بشر ولستم بملائكة فأنتم لستم برسل، وإذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم"[1].

وفي قصة شعيب عليه السلام يحكي القرآن مقولة المكذبين:

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٨٦].

وكذلك يفعل فرعون وملؤه حين يستبعدون الإيمان بموسى وهارون عليهما السلام لأنهما من جنس البشر، كما قال سبحانه:

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٤٥ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ۝٤٦ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ [المؤمنون: ٤٥-٤٧].

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٧/ ١١١.

وفي قصة المرسلين الذين ورد خبرهم في سورة يس تتكرر شبهة المكذبين:

﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾ [يس: ١٥].

ويسلك صناديد قريش المسلك ذاته، حين يتناجون في أمر نبيّنا عليه الصلاة والسلام، ويتواصون بعدم الإيمان به ﷺ، ومبررهم في ذلك أنه بشر. كما قال تعالى:

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ [الأنبياء: ٣].

فاستبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأظهروا لذلك عجبهم واستغرابهم.

**قال جل وعلا:**

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ [ص: ٤].

﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: ٢].

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٤].

**وإلى ذلك يشير أيضًا قوله تعالى:**

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [يونس: ٢].

يقول الألوسي: "والمراد أنهم عدّوا ذلك أمرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الإنكار، لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه"[1].

---

(١) روح المعاني ٢٣/ ١٦٦.

إنهم ينكرون أن تكون النبوة في بشر يحمل الخصائص البشرية، ويشارك غيره من البشر حاجاتهم المختلفة، ويتقلب مثلهم في أحوال الحياة من الصحة والمرض والفقر والغنى، ويذهب ويجيء مثلهم.

**قال تبارك وتعالى:**

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

"أي: أيّ شيء وأيّ سبب حصل لهذا الزاعم أنه رسول حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ لابتغاء الأرزاق كما نفعله"(١).

يقولون ذلك على سبيل السخرية والاستهانة والتصغير "ماله مثلنا وهو يدعي الاختصاص عنا بالرسالة"(٢).

إن ذلك ـ في تصورهم ـ أمر يثير العجب، ومن ثَمّ يستبعدونه غاية الاستبعاد، ويعتبرون اجتماع البشرية والرسالة مسألة يستحيل حصولها على كل حال، فكيف يكون محمد عليه الصلاة والسلام نبيا ورسولا في الوقت الذي يأكل الطعام ويطلب المعاش ويحتاج إلى التجول والتكسب كما يفعل البشر.

قال ابن عاشور: "كنّوا بأكل الطعام والمشي في الأسواق عن مماثلة أحواله لأحوال الناس، تذرّعا منهم إلى إبطال كونه رسولا، لزعمهم أن الرسول عن الله تكون أحواله غير مماثلة لأحوال الناس، وخصّوا أكل الطعام والمشي في الأسواق لأنهما من الأحوال المشاهدة المتكررة"(٣).

---

(١) روح المعاني ١٨/ ٢٣٧.

(٢) نظم الدرر ٥/ ٢٩٨.

(٣) تفسير ابن عاشور ١٨/ ٣٢٧.

هؤلاء المثيرون لهذه الشبهة حول بشريته ﷺ يتجهون بها ـ أحيانا ـ اتجاها آخر.

فهم يفترضون جدلا قبولهم ببشرية الرسول، ولكنهم يطلبون مؤيدات حسية يرونها تؤكد لهم رسالة الرسول، وتثبت له صحة نبوته.

فمن باب التنزل في المناظرة ـ بزعمهم ـ ورغبة في إثارة الشبهة من جوانب متعددة، وحرصا على زيادة نسبة الغموض والخفاء في قضية بشرية الرسول وأنه من الصعب على العقل أن يتقبلها، يطلبون أن ينزل ملك ـ على الأقل ـ يؤيد كلام الرسول، ويؤكد دعواه، ويشهد على صدقه، كما في قوله سبحانه:

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ [الأنعام: ٨].

﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧].

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الحجر: ٦-٧].

وقال ﷻ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ [الفرقان: ٢١].

والمعنى: "هلا أنزل الله علينا ملائكة فتخبرنا أن محمدًا محقّ فيما يقول وأن ما جاءنا به صدق أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك"(١).

كما أنهم ـ أحيانا ـ يطلبون أن ينزل على رسول الله ﷺ كنز يصرف منه على دعوته، وينفق منه على نفسه، كما يطلبون أن يكون له بستان يأكل منه، وكل ذلك ـ حسب شبهتهم ـ حتى لا يحتاج إلى التجول في الأسواق والتكسب بالتجارات

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١.

كما يفعل البشر، ومقصودهم أنه لابد من توفر هذه الأمور ليتميز نبي الله عليه الصلاة والسلام عن البشر ببعض الخصائص، كما قال جل شأنه:

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ [هود: ١٢].

**وقال تبارك وتعالى:**

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَا ﴾ [الفرقان: ٧-٨].

قال الألوسي في تفسير الآيات: "تنزلٌ عما تقدم، كأنهم قالوا: إن لم توجد المخالفة بيننا وبينه في الأكل والتعيش، فهلا يكون معه من يخالف فيهما يكون رِدْءا له[١] في الإنذار، فإن لم توجد فهلا يخالفنا في أحدهما وهو طلب المعاش، بأن يلقى إليه من السماء كنز يستظهر به ويرتفع احتياجه إلى التعيش بالكلية، فإن لم يوجد فلا أقل من رفع الاحتياج في الجملة بإتيان بستان يتعيش بريعه"[٢].

وقد اتجه فرعون هذا الاتجاه من قبل، رغبة منه في إثارة الغموض حول شخصية موسى عليه السلام، واتساع دائرة الشبهة حول رسالته.

إن موسى عليه السلام - في نظر فرعون - بشر لا يستحق مرتبة الرسالة، وإن تم التجاوز عن ذلك، فلم لم تشهد له الملائكة على أدنى الأحوال.

---

(١) أي عونا. ينظر: ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٣٢٢.

(٢) روح المعاني ١٨/ ٢٣٨.

**ذلك ما حكاه القرآن على لسان فرعون:**

﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٣].

أي: "متتابعين، يقارن بعضهم بعضا، يمشون معه شاهدين له"[١].

ففرعون يشيع الشبهة حول رسالة موسى عليه السلام من هذا الوجه كذلك، والمبني على أنه لو كان رسولا حقا لاحتفّت به الملائكة يؤيدونه فيما يقول، ويؤكدون صدقه، ويشهدون أنه رسول من عند الله حقا.

وبطبيعة الحال فليس المهم لدى فرعون أن يصل إلى الحقيقة، وإنما الذي يهمه هو أن ينجح في إحكام طوق الشبهات حول موسى عليه السلام، بغية إطفاء نور الحق في دعوته، وتنفير الناس من الالتفاف حوله أو الاستجابة له.

(١) تفسير الثعالبي ٤/ ١٣٠، وينظر: تفسير الطبري ٢٥/ ٨٣، تفسير السمرقندي ٣/ ٢٤٨، تفسير الواحدي ٢/ ٩٧٦، تفسير الجلالين ص٦٥٢.

# الشبهة الثانية

## اتهام الرسول عليه السلام بالجنون

هذه الشبهة وردت ضمن شبهات الملأ المكذبين في مواجهة نبي الله نوح عليه السلام، إذ قالوا ـ ضمن مقالاتهم ـ ما حكاه القرآن الكريم:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٢٥].

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ(١) ﴾ [القمر: ٩].

وهي إحدى مبرراتهم التي أسسوا عليها تكذيبهم، فقد اتهموا نبي الله نوحا عليه السلام بأنه مجنون، قد فقد عقله، وأصابه الخبل، فدفعه إلى ما يقوم به من التصرفات، وما يقوله من العبارات، وما يأتي به من غرائب الأشياء، ومن ثَمّ فهو ليس بحريّ أن يُتّبع، أو أن يُجارَى فيما يقوله ويدعو إليه، وليس جديرا بهذه المرتبة، إذ يتنافى ما هو عليه من حال الجنون مع منصب النبوة ومنزلة الرسالة.

قال الرازي: "والجنة الجنون أو الجن، فإن جهال العوام يقولون في المجنون

---

(١) في لفظ (وازدجر) قولان أوردهما بعض المفسرين كالطبري ٢٧/ ٩١-٩٢، والنسفي ٣/ ٤٤٤، وغيرهما.

الأول: أن اللفظ من جملة القول المحكي عن المكذبين، والمعنى أنهم قالوا: هو مجنون وقد ازدجرته الجن فذهبت بعقله.

والثاني: أن اللفظ ليس من جملة قولهم، وإنما هو إخبار عن نوع آخر من الأذى، والمعنى أنهم زجروه عن دعوته بالسب والشتم والتهديد.

وهو قول جمهور المفسرين، ينظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٧، تفسير الواحدي ٢/ ١٠٤٦، المفردات ص٢١٧، تفسير ابن عطية ٥/ ٢١٣-٢١٤، تفسير الثعالبي ٤/ ٢٣٥، زاد المسير ٧/ ٢٤٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٨٦، التسهيل ٤/ ٨٠، تفسير البحر المحيط ٨/ ١٧٦، تفسير الجلالين ص٧٠٥.

زال عقله بعمل الجن، وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يفعل أفعالا على خلاف عاداتهم، فأولئك الرؤساء كانوا يقولون للعوام: إنه مجنون، ومن كان مجنونا فكيف يجوز أن يكون رسولا؟"(١).

وننتقل إلى قصة عاد لنجد أن المكذبين أثاروا على هود عليه السلام ذات الشبهة ولكن بأسلوب آخر، إذ يجعلون فقدان هود عليه السلام لعقله هو أحد مظاهر العقوبة من الآلهة التي يحاربها بما جاء به من الدعوة إلى التوحيد.

**قال تعالى:**

﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ [هود: ٥٣-٥٤].

عن مجاهد قال: "أصابتك الأوثان بجنون"(٢).

وبنحو ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره(٣).

وعن مجاهد أيضًا قال: "سببت آلهتنا وعبتها فأجنّتك"(٤).

يقول الزمخشري في تفسير الآية: "أي: خبلك ومسّك بجنون، لسبّك إياها وصدّك عنها وعداوتك لها، مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء، فمن ثَمّ تتكلم بكلام المجانين"(٥).

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ٩٢، وينظر: تفسير الزمخشري ٣/ ١٨٥، تفسير ابن عاشور ١٨/ ٤٤.

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٠٥، وينظر: تفسير الطبري ١٢/ ٥٩، تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٦، الدر المنثور ٤/ ٤٤٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٢/ ٥٩، الدر المنثور ٤/ ٤٤٣.

(٤) تفسير الطبري ١٢/ ٥٩.

(٥) تفسير الزمخشري ٢/ ٣٨١، وينظر: تفسير ابن عطية ٣/ ١٨١، تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٩.

قال ابن عاشور: "وجعلوا ذلك من فعل بعض الآلهة تهديدا للناس بأنه لو تصدى له جميع الآلهة لدكّوه دكّا"(١).

فهو ﷺ ـ حسب مقولتهم ـ لم يعد عاقلا، بل تحول بإصابة الآلهة له إلى رجل مختل العقل، فاقد للتفكير السليم، ولذا فهو يأتي بما لا يصدقه العاقل، ومن ثَمّ فلا ينبغي أن يُلتفَت إلى المنهج الذي جاء به، إذ كيف يمكن اتباعه وهو على هذه الصورة المريبة والحال المزري من الخبل والجنون.

كذلك أثيرت هذه الشبهة حول نبي الله موسى ﷺ كما قال سبحانه:

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٣٨-٣٩].

وفرعون في مقولته هذه يوهم الناس بأنه منصف يبحث عن الحق، وذلك حين يتردد في الوصف المناسب لحال موسى ﷺ فيما جاء به بين أن يكون ساحرا أو أن يكون مجنونا.

**والجامع بين الوصفين أن كلا منهما له علاقة بالجن.**

يقول الرازي: "﴿ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ أي: هذا ساحر أو مجنون، وقوله: ﴿ سَٰحِرٌ ﴾ أي: يأتي الجن بسحره أو يقرب منهم، والجن يقربون منه ويقصدونه إن كان هو لا يقصدهم. فالساحر والمجنون كلاهما أمره مع الجن، غير أن الساحر يأتيهم باختياره، والمجنون يأتونه من غير اختياره.

فكأنه أراد صيانة كلامه عن الكذب، فقال: هو يَسْحر الجن أو يُسْحر، فإن كان ليس عنده منه خبر ولا يقصد ذلك فالجن يأتونه"(٢).

---

(١) تفسير ابن عاشور ١٢/ ٩٨.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٨/ ٢٢٠-٢٢١، وينظر تفسير البيضاوي ٢/ ٤٣٠.

ولكن فرعون لا يتردد ـ أحيانا ـ في وصف موسى عليه السلام بأنه مجنون، وهي شبهة كافية في تنفير من يتقبلها من الناس عن دعوته عليه السلام، إذ كيف يستحق الاتباع من يتصف بالجنون؟ وكيف يُصدَّق بعد ذلك في دعوى الرسالة؟

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

قال ذلك فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بالدلائل القاطعة على وحدانية الله رب العالمين، فخاف فرعون أن يكون من السامعين من تأثر بما سمعه من البينات، وغلبته دلائل الهدى مع نبي الله عليه السلام، فألقى في تلك الحال شبهته، متهما موسى عليه السلام بأن به مسّا من الجنون.

وزيادة في استدعاء الإنكار من الملأ حوله لما جاء موسى عليه السلام، واستثارة غضبهم وأنفتهم، أضاف فرعون الرسول الموصوف بالجنون إليهم ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ﴾.

قال الألوسي: ".. سماه رسولا بطريق الاستهزاء، وأضافه إلى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسلا إلى نفسه، وأكد ذلك بالوصف، وفيه إثارة لغضبهم، واستدعاء لإنكارهم رسالته بعد سماع الخبر، ترفعا بأنفسهم عن أن يكونوا أهلا لأن يرسل إليهم مجنون"(١).

وكما أثيرت شبهة الجنون حول أنبياء الله تعالى نوح وهود وموسى عليهم السلام، فقد أثيرت كذلك حول رسولنا ﷺ، فاتّهم عليه الصلاة والسلام بأنه مجنون.

والقرآن الكريم يشير إلى هذا الاتهام من المكذبين حين يردّ عليهم في بعض الآيات الكريمة، التي يدافع الله ﷻ فيها عن رسوله ﷺ، مبرئا له من هذا الاتهام.

---

(١) روح المعاني ١٩/ ٧٢.

**قال تعالى:**

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦].

﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩].

﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ٢].

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ٢٢].

هذه الآيات الكريمة التي تردّ عليهم شبهتهم تشير إلى أنهم كانوا يجابهونه ﷺ بهذا الاتهام بشكل متكرر، ويردّدونه بين العامة باستمرار. ويصرّحون بذلك في وجهه عليه الصلاة والسلام أحيانا، كما قال جل وعلا:

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦].

**وهم بهذا التعبير يؤكدون اتصافه ﷺ بالجنون.**

بل كانوا يتهكّمون برميه ﷺ بهذا الوصف، ويستنكرون فيما بينهم أن يتركوا دينهم وآلهتهم التي يعبدونها من أجل اتباع شخص مختل العقل، مضطرب التفكير - بزعمهم - كما في قول الله جل وعلا عنهم:

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٦].

ولقد كان هؤلاء المضلّلون على يقين بروعة ما جاء به ﷺ من القرآن الكريم، وبديع بيانه وإعجازه، لكنهم حين قرروا التكذيب كان لابد من إيجاد مبرر لما يأتي به رسولنا عليه الصلاة والسلام من الكلام العجيب في نظمه وأسلوبه، فكان أن وجدوا في هذا الوصف له ﷺ بالجنون ما يبرر ما يرد على لسانه مما يعجز عنه البشر.

**قال صاحب الظلال عند قول الله تعالى:**

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩].

"كان يحملهم على وصف النبي ﷺ بهذا الوصف أو ذاك، أو بقولهم إنه شاعر أو ساحر، كان يحملهم على هذا كله موقفهم مبهوتين أمام القرآن الكريم المعجز الذي يبدههم[١] بما لم يعهدوا من القول وهم أهل القول، ولما كانوا لا يريدون - لعلة في نفوسهم - أن يعترفوا أنه من عند الله، فقد احتاجوا أن يعللوا مصدره المتفوق على البشر، فقالوا: إنه من إيحاء الجن وبمساعدتهم، فصاحبه إما كاهن يتلقى من الجن، أو ساحر يستعين بهم، أو شاعر له رَئِيٌّ من الجن، أو مجنون به مس من الشيطان ينطق بهذا القول العجيب"[٢].

**ويستمر الاتهام منهم له عليه الصلاة والسلام بالجنون في كل مناسبة.**

**قال تعالى:**

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم: ٥١].

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ [الدخان: ١٤].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وهم - أحيانا - يأتون بهذه الشبهة بصيغة الاستفهام، إشعارا بترددهم في الوصف المناسب له عليه الصلاة والسلام، وذلك لإظهار الإنصاف منهم، والتأني من جهتهم في معرفة الحال الذي عليه ﷺ فيما يأتي به - في زعمهم - من غريب القول وعجيب الفعال، ويظهر ذلك فيما حكاه الله تبارك وتعالى عنهم:

---

(١) أي يفاجئهم. ينظر: ترتيب القاموس المحيط ١/ ٢٣٢.

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٩٨.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ [سبأ: ٧-٨].

فهم يستنكرون قضية البعث، ويتعجبون من أمر القائل بها ﷺ، ثم يقررون أنه عليه الصلاة والسلام فيما جاء به لا يخلو من حالين ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾.

"فما يقول مثل هذا الكلام - بزعمهم - إلا كاذب يفتري على الله ما لم يقله، أو مسته الجن فهو يهذي أو ينطق بالعجيب الغريب"(١).

إن هذا الاتهام بالجنون شبهة متكررة تواجه المرسلين عليهم السلام، كما يقول ابن تيمية: "وهذا من افتراء المكذبين على الرسل لما خرجوا عن عاداتهم التي هي محمودة عندهم نسبوهم إلى الجنون"(٢).

**وفي ذلك يقول الله تعالى:**

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٨٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٣٣٦.

# الشبهة الثالثة
## اتهام الرسول ﷺ بأنه مسحور

تعني هذه الشبهة لدى مثيريها أن الرسول قد غُلب على عقله وتفكيره، نتيجة ما أصابه من السحر، وبالتالي فإن ما يأتي به من دعوى الوحي والرسالة، وما يجيء به من منهج التوحيد، إنما هو نتيجة لوضع مضطرب، وعقلية غير متزنة، وشخصية غير طبيعية، وتفكير مصاب بالخلل، وشعور نفسي مريض، ومن ثَمّ فلا يمكن أن يُصدَّق من كان هذا وضعه، ولا يستحق أن يُتبع من كان هذا حاله، ولا يجدر بالعاقل أن يتلقى عن شخص مريض بهذه الهيئة والصفة، أو يقابل ما يجيء به بالإيمان والتسليم.

**لقد أثيرت هذه الشبهة حول نبي الله صالح ﷺ كما حكى القرآن الكريم:**

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٥٤].

وحول شعيب ﷺ أيضًا:

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۝١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٨٦].

قال ابن كثير: "قال مجاهد وقتادة: يعنون من المسحورين، وروى أبو صالح عن ابن عباس: ﴿ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ يعني من المخلوقين.. والأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة، أنهم يقولون: إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك"[(1)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٣-٣٤٤ (مع اختصار يسير)، وينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٤، تفسير الطبري ١٩/ ١٠٢-١٠٣، ١٠٩، تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٤، تفسير الزمخشري ٣/ ٣٣٣، الدر المنثور ٦/ ٣١٦، ٣١٨.

ورجحه أبوحيان أيضًا فقال: "والمسحَّر الذي سُحر كثيرا حتى غُلب على عقله، وقيل من السَّحْر، وهو الرئة، أي: أنت بشر لا تصلح للرسالة، ويضعف هذا القول قولهم بعد: ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ إذ تكون هذه الجملة توكيدا لما قبلها، والأصل التأسيس"(١).

وكذلك واجه فرعون بهذا الاتهام نبي الله موسى عليه السلام لما جاءه بالمعجزات الواضحات، كما قال تبارك وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١].

"أي: سُحِرْت فاختل عقلك، ولذلك اختل كلامك وادعيت ما ادعيت"(٢).

كما أثار مشركو قريش هذه الشبهة أيضًا حول رسول الله ﷺ كما في قوله جل وعلا:

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧].

﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨].

قال أبوحيان: "والظاهر أن مسحورا من السِّحْر، أي خبل عقله السحر"(٣).

---

(١) تفسير البحر المحيط ٧/ ٣٥، وينظر: تفسير الواحدي ٢/ ٧٩٤، تفسير الجلالين ١/ ٤٨٩، تفسير السعدي ٣/ ٤٨٠، تفسير القاسمي ١٣/ ٣٦.

(٢) روح المعاني ١٥/ ١٨٤-١٨٥، وينظر: تفسير الزمخشري ٢/ ٦٥٢، تفسير ابن عطية ٣/ ٤٨٩، نظم الدرر ٤/ ٤٣٢، تفسير الجلالين ص٣٧٧، فتح القدير ٣/ ٢٦٣.

(٣) تفسير البحر المحيط ٦/ ٤٤، وينظر: تفسير الزمخشري ٢/ ٦٢٧، تفسير البيضاوي ٢/ ١٣٥، تفسير السعدي ٣/ ١١٣، تفسير القاسمي ١٠/ ٢٣٧.

ورجحه ابن عطية أيضًا فقال: "وقولهم ﴿ مَّسۡحُورًا ﴾ الظاهر فيه أن يكون من السحر، فشبهوا الخبال الذي عنده بزعمهم، وأقواله الوخيمة برأيهم، بما يكون من المسحور الذي قد خبل السحر عقله، وأفسد كلامه" ثم قال: "والآية[١] التي بعد هذا تقوّي أن اللفظة التي في الآية من السحر بكسر السين، لأن حينئذ في قولهم ضرب مثل له.."[٢].

ومال ابن كثير كذلك إلى هذا القول في معنى الآية فقال: "يخبر تعالى نبيه محمدًا ﷺ بما يتناجى به رؤساء كفار قريش، حين جاؤوا يستمعون قراءته ﷺ سرا من قومهم، بما قالوا من أنه رجل مسحور: من السِّحْر على المشهور، أو من السَّحْر، وهو الرئة: أي إن تتبعون إن اتبعتم محمدا إلا بشرا يأكل، وقد صوب هذا القول ابن جرير، وفيه نظر، لأنهم أرادوا ههنا أنه مسحور له رَئِيّ يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه.."[٣].

قال الشوكاني: "أي: يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم: ما تتبعون إلا رجلا سحر فاختلط عقله وزال عن حد الاعتدال"[٤].

---

(١) يقصد قول الله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٤٨] [الفرقان: ٩].

(٢) تفسير ابن عطية ٣/ ٤٦١، وينظر ٤/ ٢٠١.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤ (مع اختصار يسير)، وينظر: تفسير الطبري ١٥/ ٩٦، تفسير الزمخشري ٣/ ٢٧١.

(٤) فتح القدير ٣/ ٤٣٢، وينظر: تفسير القرطبي ١٠/ ١٧٧، نظم الدرر ٤/ ٣٩١، تفسير الجلالين ص٣٧١،٤٧١.

والأكابر المضلّون ـ بهذا الاتهام ـ يُشعرون من يفكر في اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام بفداحة الخسارة التي تصيبه، وعظم المصيبة التي تحل به، حين يرتضي لنفسه أن يجاري ويتابع رجلا مسحورا، قد غُلب على عقله، واختل في تفكيره، فلم يعد يملك زمام أمره، أو يضبط ما ينطلق به لسانه ـ كما يزعم أولئك المجرمون ـ.

# الشبهة الرابعة

## اتهام الرسول ﷺ بالسفه والضلال

لما كان الرسل عليهم السلام يبلغون عن الله سبحانه المنهج الصحيح، والدين القويم، المبني على توحيد الله تعالى وطاعته، في الوقت الذي يعيش فيه أقوامهم في جهل بالله جل وعلا، وانغماس في مظاهر الشرك والفجور، لذا كان هذا المنهج الإلهي مصادما في الواقع للمنهج الجاهلي، والحياة به مخالفة ومتناقضة مع الحياة الجاهلية بشتى مظاهرها وأوضاعها المعوجّة.

ومن ثَمّ كان الرسل عليهم السلام كثيرا ما يُتَّهَمُون ـ حسب الموازين المنكوسة ـ بأنهم خارجون عن المنهج الذي ارتضاه المجتمع، ضالون عن الطريق السوي.

وأعداء الرسالات يعبرون عن هذا الاتهام بأساليب مختلفة، وأشكال متعددة، بل يصرحون ـ أحيانا ـ للرسول عليه السلام بأنه يعيش في ضلال. والضلال (الحيد والميل عن طريق الهدى)[1].

وهنا يتأمل العاقل السوي كيف تنعكس الموازين، وتنقلب التصورات والمفاهيم، حين تنتكس الفطرة، فيصبح ما عليه القوم من شرك وفجور وعبادة لغير الله تعالى هو الهدى الذي يجب السير على نهجه، وهو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وبالمقابل فإن ما يأتي به الرسول عليه السلام من دين الله سبحانه القائم على توحيده جل وعلا يصبح عند هؤلاء هو الضلال بعينه يحل محل الهدى، وهو الشقاء الذي يضيع الناس بسببه، وينحرفون به عن طريق السعادة والهناء.

---

(١) معجم الألفاظ القرآنية ص١٥٣، وينظر: المفردات ص٣٠٠، تفسير الزمخشري ٢/ ١٠٨، تفسير القرطبي ٧/ ١٤٩، تفسير البحر المحيط ٤/ ٣٢٠.

ويلخص ابن كثير هذا الاتجاه الخاطئ بقوله: "وهكذا حال الفجار، إنما يرون الأبرار في ضلالة"(١).

ذلك ما أعلنه الملأ من قوم نوح عليه السلام حين وصفوا نوحا عليه السلام بأنه ضال، وأن ما جاء به هو الضلال المبين، وجعلوا من هذا الوصف شبهة تبرر لهم التكذيب، كما تمنع الناس من الاستجابة لدعوته عليه السلام، إذ كيف يُبتغى الخير والهدى ممن يحيا هو نفسه في ضلال يحيط به من كل جانب.

**قال الله جل شأنه:**

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠].

ولم يكن السبب الذي استحق به نبي الله نوح عليه السلام وصفهم هذا بالضلال إلا أنه جاءهم يعلن رسالته من ربه تبارك وتعالى، داعيا إياهم إلى ترك ما هم عليه من عبادة الأصنام، والتوجه بالعبودية إلى الله وحده دون سواه.

ذلك أنهم يعتبرون ما هم عليه من مناهج وتقاليد وأوضاع هو الحق والهدى والنور الذي ضل عنه نوح عليه السلام بما جاء به من الدين.

ثم هم يصفون هذا الضلال لدى نبيهم ـ حسب شبهتهم ـ بأنه ﴿مُّبِينٍ﴾، أي واضح بين لا مرية فيه، ولا يحتاج في ملاحظته إلى كثير نظر أو إعمال للتفكير.

وقريب من ذلك ما وصم به أكابر عاد من الكافرين نبيهم هودا عليه السلام، كما في قوله سبحانه:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٣، وينظر: نظم الدرر ٣/ ٤٨، تفسير ابن عاشور ٩/ ١٩١.

والسفاهة: الطيش والحمق، والجهالة وسخافة العقول، وخفة الأحلام والآراء[(١)].

والمعنى كما ذكر أبوحيان: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ ﴾ "أي: في خفة حلم وسخافة عقل، حيث تترك دين قومك إلى دين غيره"[(٢)].

وقال ابن كثير: "أي: في ضلالة، حيث تدعونا إلى ترك عبادة الأصنام والإقبال على عبادة الله وحده"[(٣)].

إن نبي الله هودا عليه السلام - في زعم هؤلاء - رجل أحمق الفكر، خفيف العقل، متمكن في السفه والضلال، بعيد عن التصور الصحيح للحياة السعيدة، وسبب ذلك - في تصورهم - خروجه عن منهج القوم، ومفارقته لدين الآباء، ومجيئه بدين من رب العالمين يدعوهم فيه إلى توحيد الله سبحانه، ونبذ ما هم عليه من الأوضاع الجاهلية ومظاهر الشرك والانحراف.

**ويذكر القرآن الكريم مقولة المعاندين من رجال قريش:**

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢].

إنهم يقررون أن أوضاعهم ومناهجهم التي تأسس بنيانها على الشرك بالله سبحانه هي الهدى والخير والصلاح، الذي كاد نبينا عليه والصلاة والسلام أن

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٤٧، معاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٧، تفسير السمعاني ٢/ ١٩٢، تفسير البغوي ٢/ ١٦٩، تفسير الزمخشري ٢/ ١١٠.

(٢) تفسير البحر المحيط ٤/ ٣٢٤، وينظر: نظم الدرر ٣/ ٥١-٥٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٤.

يصرفهم عنها بما جاء به من الدعوة، وينقلهم إلى طريق الضلال الذاهب عن الحق، التائه عن الصواب.

لكنهم صبروا على آلهتهم، وثبتوا على منهجهم ودينهم، ولم يمكّنوا رسول الله ﷺ من مراده ومقصده.

هكذا يصنع المثيرون للشبهات في تنكيس الموازين، وقلب التصورات والمفاهيم، لتأتي النتائج والأحكام بعد ذلك وفق ما يرغبون ويشتهون.

يقول الألوسي في تفسير الآية: "﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾ أي: ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا، بحيث يبعدنا عنها، لا عن عبادتها فقط، والعدول إلى الإضلال لغاية ضلالهم بادعاء أن عبادتها طريق سوي ﴿ لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ ثبتنا عليها واستمْكنّا بعبادتها"[1].

وتأكيدًا لثباتهم على المنهج الباطل أسندوا الإضلال إلى نبينا عليه الصلاة والسلام.

قال ابن عاشور: "ومن خلابة المغالطة إسنادهم مقاربة الإضلال إلى الرسول دون أنفسهم، ترفُّعا على أن يكونوا قاربوا الضلال عن آلهتهم"[2].

ويصرّ أبو لهب على أن تستمر الملاحقة بهذا الاتهام دون هوادة.

يقول رَبيعة بن عِبَاد ﷺ : "رأيت أبا لهب بعُكَاظ[3] وهو يتبع رسول اللهﷺ، وهو يقول: يا أيها الناس إن هذا قد غوى، فلا يغوينكم عن آلهة آبائكم، ورسول

(١) روح المعاني ١٩/ ٢٢.

(٢) تفسير ابن عاشور ١٩/ ٣٣.

(٣) عُكَاظ: بضم العين وفتح الكاف، سوق بين مكة والطائف، كانت العرب إذا حجت أقامت به شهر شوال، وكانوا يتفاخرون فيه، يقال: عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخر، فسميت عكاظ لذلك. ينظر الروض الأنف ٢/ ١٦٩، ترتيب القاموس ٣/ ٢٨٥، المغني ص١٧٧.

الله ﷺ يفر منه، وهو على أثره، ونحن نتبعه ونحن غلمان، كأني أنظر إليه أحول ذا غديرتين، أبيض الناس وأجملهم"(١).

وعنه ﷺ أيضًا: "إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضيء ذو جُمَّة(٢)، يقف رسول الله ﷺ على القبيلة ويقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الحي من بني مالك بن أُقَيْش(٣) إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب"(٤).

فنبي الله عليه الصلاة والسلام ـ في نظر أبي لهب وأمثاله ـ صاحب غواية، وداعية بدعة وضلالة، ولذا فلابد من الحذر من التأثر بكلماته، أو التفكير في اتباعه.

**ذلك منطقهم، لكن الله ﷻ يقول:**

﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٢].

---

(١) رواه أحمد: الفتح الرباني ٢٠/ ٢١٧، قال البنا: سنده جيد، وينظر: البداية والنهاية ٣/ ١٧٠، صحيح السيرة النبوية ص١٤٣.

(٢) "الجُمَّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين". النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٠٠.

(٣) في رواية ابن إسحاق "وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش"، قال في لسان العرب١/ ٩٩: "بنو أقيش: حي من الجن".

(٤) رواه أحمد: الفتح الرباني ٢٠/ ٢١٦-٢١٧، وابن إسحاق: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٨، والطبراني كما في مجمع الزوائد ٦/ ٣٩، قال الهيثمي: (وفيه حسن بن عبد الله بن عبيد الله، وهو ضعيف، ووثقه ابن معين في رواية، وقد تقدمت له طرق فيما أوذي به سيدنا رسول الله ﷺ وبعضها صحيح). وينظر: البداية والنهاية ٣/ ١٧٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٥٦٤.

## الشبهة الخامسة

## لا يمكن للرسول أن يكون فقيرا أو بعيدا عن الوجاهة باعتقادهم

لاشك أن أنبياء الله عليهم السلام هم صفوة البشر، أفضل أقوامهم خلقا وسيرة، وأشرفهم نسبا وحسبا، ولكنهم مع ذلك ـ لحكمة إلهية ـ لا يكونون في العادة من أصحاب المال الوفير، أو من ذوي الرياسة والسلطان.

والمضلّلون يستغلون هذا الوضع ليثيروا شبهة تقدح ـ في نظرهم ـ في استحقاق الرسول لمرتبة النبوة والرسالة، وجدارته بالاتباع، فيصرحون أن الرسل عليهم السلام ليسوا من أصحاب الرياسة في القوم، ولا من ذوي الزعامة المقدَّمين في المجتمع، ولا يملكون خصائص مادية تميزهم عن غيرهم، وترفع من قدرهم، فتجعلهم مؤهلين لمرتبة الأنبياء، بل هم بشر شأنهم شأن غيرهم من الناس، لا يتميزون ـ في زعم الملأ المكذبين ـ بفضيلة، ولا يتفوّقون بمال أو رئاسة، فكيف يستحقون نيل النبوة دون غيرهم من أصحاب الحظوظ الدنيوية، ومن ثَمّ فإن ادعائهم للرسالة وهم بهذه الهيئة والحال يقدح في رسالتهم، ويشكّك في نبوتهم، إذ لو كانت مسألة النبوة حقا لكان الأولى بها هؤلاء الكبراء من ذوي السيادة والمال والثروة.

هذه الشبهة نلحظها ـ مثلا ـ في قصة نوح عليه السلام:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ ﴾

[هود: ٢٧].

قال ابن عطية: "أي: ما ثَمَّ شيء تستحقون به الاتباع والطاعة"(١).

فالملأ يبررون كفرهم بأن نوحا عليه السلام بشر مثلهم، لا يتميز عنهم بما يؤهله للرسالة دونهم ويخصه بها من بينهم.

قال الألوسي: "والظاهر أن مقصودهم ليس إلا إثبات أنه عليه السلام مثلهم، وليس فيه مزية يترتب عليها النبوة ووجوب الطاعة والاتباع"(٢).

ثم يؤكدون شبهتهم بنفي الفضل عنه عليه السلام وعن أتباعه ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: لا نجد فيكم ما تفضلون به علينا من مال أو منصب أو رئاسة.

إن هؤلاء الأكابر المكذبين يقيسون حال الرسالة على حال الدنيا، فارتفاع الإنسان منزلة ومكانة في الدنيا ظاهرا عند أهلها يعتمد على ما يملكه من مال، أو ما يتمتع به من جاه، فَيُمِرُّون هذا المقياس على مسألة النبوة والرسالة، فإذا كانت الرسالة لابد وأن يتحملها بشر فإنها ستكون من نصيب من يتأهل لها بالمال الوفير أو المنصب الخطير، ولما كان نوح عليه السلام لا يملك شيئا من هذا كان غير مستحق لتحمل النبوة والرسالة، ومن ثَمّ فهو كاذب فيما يأتي به من الدين، غير جدير باتباع الناس له والانقياد له فيما يقول.

فالرسالة: " في زعمهم لا تكون لبشر، فإن كانت فهي لأمثالهم من الوجهاء العالين في الأرض"(٣). أما الرسل عليهم السلام فليس لديهم ما يؤهلهم من سيادة ماضية أو مال سابغ أو رياسة سابقة.

يقول تعالى عن المكذبين بنبي الله صالح عليه السلام:

---

(١) تفسير ابن عطية ٣/ ١٦٤.

(٢) روح المعاني ١٢/ ٣٧، وينظر: نظم الدرر ٣/ ٥٢٢.

(٣) في ظلال القرآن ٤/ ١٨٧٢.

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [القمر: ٢٤-٢٥].

إنهم يكررون نفس التصور، إذ يقولون: كيف نتبع من هو مثلنا في البشرية، ولا يتميز علينا بما يستحق به أن يكون رسولا يتنزل عليه الوحي من السماء، ولا نلاحظ عليه ما يفضل به على آل ثمود من رياسة أو جاه، وعلى ذلك فإن اتباعه وهو بهذا الوصف أمر مستبعد، ورأي غير سديد، بل إن اتباعه في هذه الحال هو الضلال بعينه "﴿ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ ﴾ أي: ذهاب عن الصواب ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ أي: جنون"(١)، فكفرهم بصالح عليه السلام ـ في رأيهم ـ يحمل الإنقاذ لهم من ربقة الضلال والجنون.

وكانت النتيجة أن يظهروا استغرابهم وإنكارهم لأن يكون صالح عليه السلام هو رسول الله حقا ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾، "أي: خصص بالرسالة من بين آل ثمود ومنهم من هو أكثر مالا وأحسن حالا، وهو استفهام معناه الإنكار"(٢).

وتتكرر المقولة من فرعون وملئه كما حكى القرآن عنهم:

﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ [المؤمنون:٤٧].

وتعتمد هذه الشبهة منهم على أساس أن موسى وهارون عليهما السلام ليس لهم من مظاهر الدنيا ما يؤهلهم للتفضل والرفعة، بل إن قومهما من بني إسرائيل هم خدم لآل فرعون مستضعفون، ومطيعون لهم خاضعون، فكيف تنعكس المسألة ـ في زعمهم ـ فيتبع المخدوم من كان له في السابق خادما؟

---

(١) تفسير القرطبي ١٧/ ٩٠، وينظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٧/ ٩٠، وينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٢٩.

قال الألوسي في تفسير الآية: "الأولى تفسير ﴿عَـٰبِدُونَ﴾ بخادمون، وهو مما يصح إسناده إلى فرعون وملئه، وكأنهم قصدوا بذلك التعريض بشأن الرسولين عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية"(١).

ثم قال: "والجملة حال من فاعل (نُؤْمِنُ) مؤكد لإنكار الإيمان لهما، بناء على زعمهم الفاسد المؤسَّس على قياس الرياسة الدينية على الرياسة الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنيوية من المال والجاه"(٢).

وفي ابتداء الدعوة من نبي الله موسى عليه السلام كان جواب فرعون يحمل في ثناياه غمطا لشخص موسى عليه السلام، وإشعارا له بضعف مكانته، وانحطاط مرتبته، وسوء سابقته، مما لا يؤهله لاستحقاق ما يدعيه من أمر الرسالة.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨-١٩].

فهو يذكّره بالسنوات التي قضاها من عمره في قصر فرعون، فلم يقتل ضمن من قتل من ذكور بني إسرائيل، كما يقرره كذلك بقتل القبطي قبل خروجه من مصر، وهو في ذلك كله يريد أن يُظهر موسى عليه السلام في صورة من لا يملك من الخصائص الشخصية ما يؤهله لأن يكون رسولا، بل على العكس من ذلك - حسب مقولة فرعون الآثمة - فإن حياته في قصر فرعون ينال من خيره، وسابقته في القتل، كل ذلك يوحي بتدني مرتبته عن نيل درجة النبوة، فكأنه يقول له: "فكيف تدعي مع علمنا أحوالك بأن الله أرسلك"(٣).

---

(١) روح المعاني ١٨/ ٣٧، وينظر: تفسير البيضاوي ٢/ ١٠٥، تفسير ابن عاشور ١٨/ ٦٥.

(٢) روح المعاني ١٨/ ٣٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٣/ ٦٥، وينظر: تفسير ابن عطية ٤/ ٢٢٧.

ولما جمع فرعون الجماهير ليخطب فيهم مذكّرا لهم بعظمته وخصائصه، راح يُنَدِّد[1] بموسى عليه السلام، ويقلّل من شأنه، ويحطّ من مكانته، ويستبعد أمام الجموع أن يكون موسى عليه السلام مؤهلا لما يدّعيه، إذ لا مال له ولا جاه، وليس له سابقة زعامة أو ثراء:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده، أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجّحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ قال قتادة: قد كانت لهم جنات وأنهار ماء ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني: وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء"[2].

ثم يحكم لنفسه بالفضل والخيرية مقارنة بحال موسى عليه السلام، وينتج عن ذلك ـ حسب زعمه ـ الاستبعاد الشديد لنبوة موسى عليه السلام، إذ كيف ينالها من هو بهذه الهيئة، ليس له من المال ما يعلي من شأنه، ومن الرياسة ما يرفع من قدره ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

قال في الظلال: "وهو يعني بالمهانة أن موسى ليس ملكا ولا أميرا ولا صاحب سطوة ومال مشهود، أم لعله يشير بهذا إلى أنه من ذلك الشعب المستعبد

---

(١) "ندد به: صرح بعيوبه، وأسمعه القبيح". ترتيب القاموس المحيط ٤/ ٣٤٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٩، وينظر: أضواء البيان ٤/ ٤٢٧.

المهين شعب بني إسرائيل. أما قوله: ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ فهو استغلال لما كان معروفا عن موسى عليه السلام قبل خروجه من مصر من حبسة اللسان، وإلا فقد استجاب الله سؤاله حين دعاه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ [طه: ٢٥-٢٨]، وحلت عقدة لسانه فعلا، وعاد يبين، وعند الجماهير الساذجة الغافلة لابد أن يكون فرعون الذي له ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته خيرا من موسى عليه السلام ومعه كلمة الحق ومقام النبوة ودعوة النجاة من العذاب الأليم"(١).

ويأتي الملأ من قريش ليتمّوا المسيرة في إلقاء هذا النوع من الشبهة، وذلك حين ينكرون رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام مبررين ذلك بأنه لا يستحق هذه المنزلة، إذ ليس له فضل من مال أو زعامة تؤهله لذلك.

**هذا ما يحكيه القرآن الكريم من قول الملأ:**

﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ [ص: ٨].

قال الزمخشري: "أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم" ثم قال: "وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم"(٢).

**ويقول جلا وعلا:**

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

"أي: هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٩٣، وينظر: زاد المسير ٧/ ١٠١، تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٠، نظم الدرر ٧/ ٣٧.

(٢) تفسير الزمخشري ٤/ ٧٦، وينظر: تفسير ابن عطية ٤/ ٤٩٤، البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٢٩، روح المعاني ٢٣/ ١٦٦.

القريتين، يعنون مكة والطائف"[1].

وعلى هذا الأساس يستبعدون نزول القرآن على رسول الله ﷺ، لكونه ـ في نظرهم ـ لا يتمتع بالجدارة والاستحقاق لهذا الأمر، وأن قضية الوحي لو كانت حقا، وأن القرآن لو كان صدقا، وأن الرسالة لو كانت ممكنة لبشر، لكان ذلك كله أجدر وأحق بأن يكون من نصيب أحد الكبراء، بما يملك من المال، وما يمتاز به من الجاه، ومادام الأمر قد حصل على خلاف هذا المنطق والتصور، كان ذلك ـ حسب شبهتهم ـ دلالة قاطعة على كذب الرسول ﷺ، وأن ما جاء به مسألة مؤلّفة من قبله ومفتراة، لا حقيقة لها في واقع الحال.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٦، وينظر: الإتقان ٤/ ٩١، الغرباء الأولون ص٩١-٩٢.

# الشبهة السادسة

## القول بأن الرسول ﷺ لم يتبعه أكابر القوم مما يشكك في مقام النبوة والرسالة حسب تصورهم ومقياسهم الخاطئ

وشرح هذه الشبهة ـ حسب مقولتهم ـ أن المتبعين للرسول ﷺ والمسارعين إلى اللحاق بدعوته والدخول في دينه كانوا ـ في الغالب ـ هم الضعفاء من عامة الناس، ومن أقلهم مالا وجاها، في الوقت الذي خالفه ولم يقتنع بدعوته أشراف القوم ووجهاؤهم وأصحاب الرياسة فيهم.

هذا الواقع ـ بزعمهم ـ يشكك في الرسول، ويقدح في جدارته بالاتباع، إذ لو كان الرسول أهلا لما يدعيه لكان المسارعون إليه والمستجيبون له من الأشراف وأكابر القوم.

وأيضا فإن اتباع هؤلاء المستضعفين لا يمثل مزية للرسول تعلي من قدره، بل عكس ذلك ـ في زعمهم ـ هو الصحيح.

كانت هذه الشبهة ضمن مخطط الملأ من أهل الكفر في مواجهة نبي الله نوح ﷺ كما قال تعالى:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

والأراذل هنا بمعنى الضعفاء والفقراء والأسافل الناقصين في القدر والمنزلة[١].

فهم يبررون كفرهم بنوح ﷺ ـ ضمن ما يبررون ـ بأن المتبعين له هم من

---

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني ص٦٣، معجم الألفاظ القرآنية ص٢٣، بصائر ذوي التمييز ٣/ ٦٥.

الطبقة الفقيرة في المجتمع، وهذا يمنعهم من الاستجابة له واللحاق بركبه، إذ لو كان نوح ﷺ ـ في زعمهم ـ حقيقا فيما جاء به بالاتباع لآمن به العلية من القوم، لا سِفْلتهم وضعفاؤهم.

**وقد صرحوا بذلك بشكل أكثر وضوحا فيما حكاه القرآن عنهم في موضع آخر:**

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١].

وهو استبعاد منهم للإيمان بدعوته في الوقت الذي يرون فيه المؤمنين الذين سبقوا إلى الاستجابة له من الأقلين في المال والشأن والجاه.

وكأنهم يقولون لنبي الله نوح ﷺ: لو كان ما جئت به حقا، ولو كنت تستحق الاتباع فعلا، لسارع إلى ذلك الكبراء والسادة والأشراف، ولما كان الحال والواقع هو تهافت الأراذل على الاستجابة وابتعاد الأكابر، فإن ذلك دليل على فقدانك ما يؤهلك للاتباع.

وسار سادة قريش على هذا النهج أيضًا، حين طلبوا من رسول الله ﷺ أن يطرد من آمن به من الضعفاء، إذا كان راغبا في أن يبحثوا موضوع الإيمان بدعوته، ويفكروا في الاستجابة له، فجعلوا من اتباع الفقراء له عليه الصلاة والسلام شبهة يبررون بها امتناعهم عن قبول ما دعاهم إليه من توحيد الله سبحانه.

عن سعد ﷺ قال: "كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث

نفسه فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢]"[١].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: "مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا يا محمد، أرضيت بهؤلاء؟"[٢].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: "... فقالوا يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك، أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا، أنحن نكون تبعا لهؤلاء، اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٣]"[٣].

فالملأ من قريش يعتبرون اتباع الفقراء والأرقاء له ﷺ حاجزا يربأ بهم عن مجرد التفكير في الاستجابة لدين الله جل وعلا.

إن الرسل عليهم السلام ـ في زعم هؤلاء المضلّلين ـ ليسوا جديرين بالاتباع وقد التحق بركبهم الأراذل والمستضعفون.

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ ٢/ ١٨٧٨.

(٢) رواه أحمد: الفتح الرباني ١٨/ ١٣٧، والواحدي في أسباب النزول ص١٧٩، قال الهيثمي (رجال أحمد رجال الصحيح غير كُردوس وهو ثقة) مجمع الزوائد ٧/ ٨٨.

(٣) رواه ابن جرير: تفسير الطبري ٧/ ٢٠٠، قال شاكر: (إسناده صحيح) ٦/ ٣٦ ط دار المعارف، وصححه الألباني أيضا: سلسلة الأحاديث الصحيحة ص٤٠٣، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٦، الدر المنثور ٣/ ٢٧٢، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ١٧١.

## المطلب الثالث

## الشبهات التي يقصد بها التشكيك في الرسول ﷺ من جهة إخلاصه

وتشتمل على الشبهات التالية:

**الشبهة الأولى:**

اتهام الرسول ﷺ بأن مقصده من الدعوة الوصول إلى المناصب الرفيعة.

**الشبهة الثانية:**

اتهام الرسول ﷺ بأن غايته السيطرة على البلد والهيمنة على أهلها.

**الشبهة الثالثة:**

اتهام الرسول ﷺ بأنه يرغب في تغيير المنهج المألوف في المجتمع، بغية تحقيق أطماعه.

**الشبهة الرابعة:**

اتهام الرسول ﷺ بأنه يريد زعزعة الأمن وإيجاد الفرقة، ونشر الفساد والاضطراب في الأمة.

## الشبهة الأولى

## اتهام الرسول ﷺ بأن مقصده من الدعوة الوصول إلى المناصب الرفيعة

ضمن سلسلة الاتهامات بغية تشويه صورة الرسل عليهم السلام، وتنفير الناس منهم، يصرح المستكبرون بأن الرسل عليهم السلام حين يتحركون في الدعوة يعلنون لدعوتهم هدفا وغاية، بينما هم في الواقع يقصدون إلى غاية أخرى، بعيدة عما يجاهرون به من المقاصد والأهداف.

أما الهدف المعلن فهو الدعوة إلى دين الله سبحانه، ونشر المنهج الإلهي، وتبليغ الوحي الرباني.

لكن هذا الهدف ما هو إلا غطاء ظاهري، وستار شكلي، لهدف آخر وغاية أخرى يخفونها عن أعين الناس، ويتحركون في الواقع الفعلي من أجلها، لا من أجل الدين والدعوة، وهنا يكمن الخطر.

إن المقصد الأساسي، والغرض الحقيقي، إنما هو مادي بحت، منشؤه المطامع الذاتية، والمصالح الشخصية.

هؤلاء الرسل عليهم السلام ـ فيما يزعم المثيرون لهذا الاتهام ـ لا يتمتعون في مجتمعاتهم برياسة أو سيادة، مما يشعرهم بالنقص في أشخاصهم، فيلجأون إلى ادعاء الرسالة، والدعوة إلى دين جديد، للتخفيف مما يعانونه في نفوسهم، وليكملوا بهذا الأسلوب نقصهم، ويلفتوا الأنظار نحوهم، فيقومون بالتغرير بعوام الناس بما يعلنونه ويجهرون به من قضايا الدين والإيمان، ويحصلون من خلال ذلك على الأتباع، ومن يلتف حولهم من الرعاع، فتتسع دوائرهم في المجتمع، ويحصلون بذلك على السيادة التي كانوا يتمنونها، والزعامة التي يحلمون بها.

هذا هو هدفهم الفعلي، يسعون إليه بكل وسيلة، وفي سبيله يبذلون الكثير.

من أصحاب هذه المقولة، والمثيرين لهذه الشبهة، أكابر المكذبين من قوم نوح عليه السلام، إذ أشاعوا عن نبي الله نوح عليه السلام ما ذكره القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

قال الزمخشري: "أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم"(١).

وشرح شبهتهم هذه أن نوحا عليه السلام ـ فيما يزعمون ـ كاذب في دعوى النبوة، ظاهره يناقض سريرته، فهو في حقيقة الأمر رجل يحب الرياسة، ويعشق الزعامة، ويهوى اتباع الناس له وسيرهم وراءه، فوجد في ادعاه النبوة ما يحقق مراده، فأعلن نفسه أمام العامة نبيا ورسولا، رغبة في استقطاب الجموع حوله.

قال الألوسي: "وصفوه بقوله سبحانه: ﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ إغضابا للمخاطبين عليه عليه السلام، وإغراء لهم على معاداته، والتفضل طلب الفضل، وهو كناية عن السيادة، كأنه قيل: يريد أن يسودكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم"(٢).

واتهم الكفرة من آل ثمود كذلك نبيهم صالح عليه السلام بأنه باحث عن الشهرة والمكانة، إذ وصفوه بأنه ﴿ أَشِرٌ ﴾ كما حكى القرآن من قولهم:

﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [القمر: ٢٥].

---

(١) تفسير الزمخشري ٣/ ١٨٥.

(٢) روح المعاني ١٨/ ٢٥، وينظر: تفسير الواحدي ٢/ ٧٤٥، تفسير البغوي ٣/ ٣٠٧، تفسير البيضاوي ٢/ ١٠٢.

قال أبو حيان: "أي: بطر، يريد العلو علينا، وأن يقتادنا ويتملك طاعتنا"[(١)].

وقال القرطبي: "أي: ليس كما يدعيه، وإنما يريد أن يتعاظم ويلتمس التكبر علينا من غير استحقاق"[(٢)].

وقال الرازي: "وقولهم ﴿أَشِرٌ﴾ إشارة إلى أنه كذب لا لضرورة وحاجة إلى خلاص كما يكذب الضعيف، وإنما هو استغنى وبطر وطلب الرياسة عليكم، وأراد اتباعكم له، فكان كل وصف مانعا من الاتباع"[(٣)].

وهي شبهة يتعمدون إشاعتها عن صالح عليه السلام ليظهروه للعامة رجلا يخفي في ثنايا دعوته خبيئا غير ظاهرها، وأنه في حقيقة الأمر طامع في المكانة عند القوم، والسيادة فيهم.

وصرح بهذه الشبهة أيضًا الملأ من آل فرعون في مواجهتهم لنبي الله موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام كما قال تعالى:

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٧٨].

عن مجاهد قال: "العظمة والملك والسلطان"[(٤)].

وقال ابن عطية: "الكبرياء مصدر مبالغ من الكبر، والمراد به في هذا الموضع

---

(١) تفسير البحر المحيط ٨/ ١٨٠، وينظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٩، تفسير الواحدي ٢/ ١٠٤٨، تفسير ابن عطية ٥/ ٢١٧، تفسير النسفي ٣/ ٤٤٧، قال الزمخشري ٤/ ٤٣٧ (بطر متكبر، حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك) وقال الراغب في المفردات ص٢٧ (الأشر شدة البطر) وعلى ذلك فهو (أبلغ من البطر).

(٢) تفسير القرطبي ١٧/ ٩٠، وينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٣.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٩/ ٥١، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٦٢.

(٤) الدر المنثور ٤/ ٣٨١، وينظر: تفسير مجاهد ١/ ٢٩٥، تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٣.

الملك، وكذلك قال فيه مجاهد والضحاك وأكثر المتأولين، لأنه أعظم تكبر الدنيا"[١].

وهكذا أصبح موسى عليه السلام - في دائرة اتهامهم - رجلا لا هَمَّ له إلا الوصول إلى السيادة والزعامة، والسيطرة والاستحواذ، والملك والرياسة، بأي وسيلة وبأي ثمن، ومن ثَمّ فقد وجد في ادعاء الرسالة مجالا خصبا لذلك، فاتخذ من الحديث عن الدعوة والدين والإصلاح سلما يرتقي به إلى هدفه الشخصي، وغرضه الذاتي النفعي.

وفي مواجهة رسولنا ﷺ يتحرك الملأ من قريش ليصدوا عن سبيل الله، فيثيروا الحمية، ويشيعوا الشبهة، وينشروا التهمة، كما قال الله جل شأنه:

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص: ٦].

يقول ابن جرير في معنى قولهم ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾: "أي: إن هذا القول الذي يقول محمد ويدعونا إليه من قول لا إله إلا الله شيء يريده منا محمد، يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا، ولسنا مجيبيه إلى ذلك"[٢].

ويرى القرطبي أنها: "كلمة تحذير، أي إنما يريد محمد بما يقول الانقياد له ليعلو علينا، ونكون له أتباعا، فيتحكم فينا بما يريد، فاحذروا أن تطيعوه"[٣].

---

(١) تفسير ابن عطية ٣/ ١٣٥، وينظر: تفسير الطبري ١١/ ١٤٦-١٤٧، تفسير الواحدي ١/ ٥٠٥، تفسير الزمخشري ٢/ ٣٤٤، تفسير الجلالين ص٢٧٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ١٢٦، وينظر: تفسير ابن عطية ٤/ ٤٩٤، تفسير السعدي ٤/ ٢٨٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ١٠٠.

فهم يهدفون إلى الإيهام بأن وراء هذه الدعوة ما وراءها، وأن ظاهرها ستار لما تخفيه من أهداف حقيقية، تتمثل في الرغبة في الاستعلاء والتعاظم على الناس، والتفضّل عليهم، وتبوء منازل السيادة، وبلوغ مناصب القيادة في المجتمع.

وهكذا يصبح الرسل عليهم السلام طلاب زعامة ورياسة، وعاشقي ملك وسلطان، ظاهرهم الدعوة إلى دين الله سبحانه، وخبيئهم المستور هو الهوى السادر والرغبة الجامحة، في الاستحواذ على مقاليد السلطة، والإمساك بزمام الأمور، والوصول إلى المركز الاجتماعي والمكانة المرموقة ـ فيما يدّعي ويزعم المضلّون ـ.

## الشبهة الثانية

## اتهام الرسول ﷺ بأن غايته السيطرة على البلد والهيمنة على أهلها

يمكن أن نلحظ هذا الشبهة بوضوح في قصة نبي الله موسى ﷺ، فقد اتهمه فرعون بأنه يهدف - من خلال تحركه الظاهري في الدعوة - إلى التخطيط المحكم للتمكن من البلد، والسيطرة عليها، وإزاحة أهلها الحقيقيين عنها، وإنهاء تمكنهم منها، ونفوذهم فيها.

وفي ذلك بطبيعة الحال تنفير للعامة منه ﷺ، وتحريض لهم على مخالفته، إذ أن نهاية دعوته وعاقبتها ستكون ضياع البلد والأرض، وخروجهم منها أذلة، وهذا ما لا يمكن القبول به وارتضاؤه.

قال جل وعلا عن فرعون واتهامه لموسى ﷺ:

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٥].

قال ابن كثير: "أي أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه، ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم"[(١)].

ففرعون بإثارته لهذه الشبهة يجعل الهدف النهائي لموسى ﷺ هو السيطرة على البلاد بأسرها، والتمكن منها، بعد إذلال أهلها وإخراجهم منها مرغمين مكرهين.

يقول الألوسي: "وفي هذا غاية التنفير عنه ﷺ، وابتغاء الغوائل[(٢)] له، إذ من

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٣٣.

(٢) "الغوائل: الدواهي". ترتيب القاموس المحيط ٣/٤٣٠.

أصعب الأشياء على النفوس مفارقة الوطن، لاسيما إذا كان ذلك قسرا، وهو السر في نسبة الإخراج والأرض إليهم"(١).

وكما وجه فرعون خطابه للملأ متضمنا هذه الشبهة، فقد واجه بها أيضًا نبي الله موسى عليه السلام كما في قوله تعالى:

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٥٧].

فما جئت به إنما هو سحر تريد أن تصل به إلى الاستيلاء على الأرض، وليكون لك فيها الدولة والأتباع.

**ويردد الملأ من حوله شبهة زعيمهم بذات الأسلوب:**

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٠].

فلسان حال هؤلاء الملأ يقول: إن موسى ليس بداعية في الحقيقة إلى دين صحيح، وإنما هو في الواقع داعية لنفسه ومصلحته ومصلحة قومه من بني إسرائيل، والغاية لديه هي الوصول إلى طردكم من أرضكم، وإخراجكم من وطنكم، تحت القهر والقوة والإذلال، لتخلو الساحة له ولأبناء جنسه، وليتهيأ الجو لتحقيق ما تحرك من أجله، من الهيمنة على الدولة، والحصول على الجاه والسلطان.

ولذا وجهوا الخطاب المباشر لموسى وهارون عليهما السلام بما حكاه القرآن الكريم:

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٧٨].

---

(١) روح المعاني ١٩/ ٧٤، وينظر تفسير ابن عاشور ٩/ ٤٢.

قال القرطبي: ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ ﴾ "أي: العظمة والملك والسلطان ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريد أرض مصر، ويقال للملك الكبرياء لأنه أعظم ما يطلب في الدنيا"[١].

فالهدف الأخير لنبي الله موسى عليه السلام - في زعمهم - إنما هو الاستيلاء على الأرض والحكم.

وتلك شبهة يمكن أن تجد لها موقعا في أذهان الكثيرين.

---

(١) تفسير القرطبي ٨/ ٢٣٤، وينظر: تفسير السمرقندي ٢/ ١٢٧، تفسير الفخر الرازي ١٧/ ١٤٢، تفسير ابن عاشور ١١/ ٢٥٢.

# الشبهة الثالثة

## اتهام الرسول ﷺ بأنه يرغب في تغيير المنهج المألوف في المجتمع بغية تحقيق أطماعه

يعمل الملأ المكذبون ـ جاهدين ـ على إيجاد فجوة واسعة بين الرسل عليهم السلام والجماهير من الناس، وأن يضعوا الحواجز في البين، حتى يضعف الاحتمال في انقيادهم لما جاء به الرسل عليهم السلام.

والإنسان ـ عادة ـ يمكن أن تأسره عاداته، وما يعيشه من تقاليد، وما يضبط حياته من قوانين، وما ينظم أوضاعه من قيم وموازين، وما يدين به من عقائد وأفكار.

وهنا يجد المضلّلون فرصتهم، ليضعوا في هذا الإطار شبهتهم حول الرسل عليهم السلام، فيتهموهم بأن مقصدهم وغايتهم هي الفصل بين المجتمع وبين ما تعوّد عليه من مناهج وأوضاع وتقاليد، في سنواته الطوال التي تجمع بين ماضيه وحاضره، ليأتي الرسول بين عشية وضحاها، فيغير المناهج القائمة، والعادات الموروثة، ويبدل في عقائد الناس وقيمهم وأفكارهم.

والإنسان أيضًا بجبلّته يكره أن يُتهم بالضلال فيما يحياه من الباطل، ويأبي الاعتراف بذلك، إلا من وفقه الله ﷻ إلى معرفة الحق واليقين به والاطمئنان إليه.

فيتحرك المثيرون لهذه الشبهة ـ كذلك ـ في هذا الاتجاه ليشيعوا بأن الرسول ﷺ يحكم على القوم بالضلال، وينظر إليهم نظرة دونية باحتقار وإشعار لهم بالخسران، كما يحكم بالضلال أيضًا على آبائهم الذين ورثوا عنهم ما يدينون به من العقائد، وما يحيون به من المناهج والأوضاع.

ومن الأمثلة على ذلك ما حكاه القرآن من خطاب الملأ المكذبين لنبي الله هود عليه السلام:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠].

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا (١) عَنۡ ءَالِهَتِنَا ﴾ [الأحقاف: ٢٢].

فهم ينكرون على هود عليه السلام أن يأتيهم بهذا المنهج الجديد القائم على عبودية الله سبحانه، ونبذ ما هم عليه من المناهج الكفرية، والأوضاع الشركية، والتوجه لغير الله سبحانه، ويعتبرون ذلك جريمة بحق ما ورثوا عن آبائهم من مناهج يحيون بها، وأوضاع يسيرون عليها، وما ألفوه وتعودوا عليه، وألفه الآباء والأجداد.

فكيف يتركون لهود عليه السلام ـ حسب مقولتهم ـ أن ينشئ بينهم دينا جديدا لا يعرفونه، ومنهجا لا يألفونه، وكيف يوافقون له أن يجعل من منهجهم الذي ساروا عليه جيلا بعد جيل ضلالا يجب العدول عنه، وكيف يرتضون له أن يقضي على موروث القوم الذي يعتزون به، وأن يبطل ما يرون فيه الهدى والحق.

**وبنفس الأسلوب كانت مواجهة صالح عليه السلام:**

﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [هود: ٦٢].

**وكانت مواجهة شعيب عليه السلام:**

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ﴾ [هود: ٨٧].

---

(١) أي لتصرفنا عنها. ينظر: المفردات ص٢٨-٢٩، التبيان في تفسير غريب القرآن ص٣٧٩.

**وكانت ـ كذلك ـ مواجهة موسى عليه السلام:**

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [يونس: ٧٨].

فهم يرفضون القول بدين الله الذي جاءهم به الرسل عليهم السلام بحجة مخالفته للمنهج الموروث عن الآباء، ومن ثَمّ فإنهم يتعجبون من أولئك الرسل عليهم السلام أن يحكموا على منهجهم بالضلال، وأن يأتوهم بمنهج الله القائم على توحيده سبحانه، ليغير من مناهجهم وأوضاعهم وعقائدهم.

ولما أعلن فرعون فكرته بقتل موسى عليه السلام برر هذه الفكرة بأمرين أحدهما أن موسى يريد تغيير دين المجتمع، بهدف الوصول إلى أغراضه وأطماعه.

**يقول الله جل وعلا:**

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

قال ابن كثير: "يخشى فرعون أن يضل موسى الناس، ويغير رسومهم وعاداتهم"[(١)].

فلسان حال فرعون يقول في خطابه لقومه: إن ما أنتم عليه من مناهج وعقائد وأوضاع قائمة على عبادتكم لي هو الحق الذي لامرية فيه، والهدى الذي لا شك فيه، وإن موسى عليه السلام جاء بدين لم تعرفوه من قبل، وعقيدة لم تألفوها في السابق، ليغير بها جاء به عقائدكم، ويحول دينكم، وليعتبر ما أنتم عليه من الهدى ضلالا، وما تسيرون عليه من الحق باطلا، وهو في ذات الأمر ضال مبطل، أخشى أن يؤثر عليكم بباطله، وأخاف أن يجذبكم إلى ما هو عليه من الضلال بأسلوبه،

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٧٦-٧٧.

ليحقق من خلال اتباعكم له ما يصبو له من الامتيازات والمصالح ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾.

والملاحظ في هذه المقولة أن فرعون ينسب الدين إليهم مبالغة منه في استدعاء حميتهم، واستثارة تعصبهم لما يحيونه من عقائد، واستنزال غضبهم وكراهيتهم لنبي الله موسى عليه السلام[1].

ويأتي كبراء قريش ليكرروا مقولة سابقيهم في الصد عن دعوة الله تعالى.

**يقول الله سبحانه:**

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ [سبأ: ٤٣].

فهو يصرحون للعامة أن رسول الله ﷺ ـ بزعمهم ـ كاذب في دعواه، مفتر فيما جاء به، غرضه من هذه الدعوة أن يبعدكم عن عقائد آبائكم وآلهتهم التي كانوا يعبدون، وأن يبطل منهجكم الموروث عنهم، ومن ثَمّ يجعل منكم أتباعا له، تتحركون عن أمره دون إرادة منكم، فيحقق بهذا الأسلوب أطماعه ومصالحه بينكم.

وهم في مقولتهم ينسبون الآباء إلى الجمهور الذي يخاطبونه ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ مع أن الكل مشترك في هذه النسبة، وذلك بغرض إثارة الحمية، وإلهاب القلوب، وإيغار الصدور، وتأكيد التأليب والتحريض ضد رسول الله ﷺ .

---

(١) ينظر تفسير ابن عاشور ٢٤/ ١٢٥.

قال الألوسي: "وإضافة الآباء إلى المخاطبين، لا إلى أنفسهم، لتحريك عرق العصبية منهم، مبالغة في تقريرهم على الشرك، وتنفيرهم عن التوحيد"(١).

يقول ربيعة بن عِبَاد ﷺ: "رأيت رسول الله ﷺ بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: يا أيها الناس أن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا. قال: ووراءه رجل يقول: يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم. فسألت من هذا الرجل؟ قيل أبو لهب"(٢).

وفي رواية أخرى: "يا أيها الناس إن هذا قد غوى فلا يغوينكم عن آلهة آبائكم..."(٣).

وفي رواية ثالثه: "إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الحي من بني مالك بن أُقَيْش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه"(٤).

والقرآن الكريم يقرر أن هذه الشبهة متكررة، يثيرها أعداء الدعوات في مواجهة الرسل عليهم السلام.

**يقول سبحانه:**

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ

---

(١) روح المعاني ٢٢/ ١٥٢، وينظر: نظم الدرر ٦/ ١٩٠، تفسير ابن عاشور ٢٢/ ٢٢٦.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٦١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ورواته عن آخرهم ثقات أثبات، ووافقه الذهبي، ورواه أحمد بنحوه: المسند ٣/ ٤٩٢ ط دار سحنون، وينظر: البداية والنهاية ٣/ ١٧٠، صحيح السيرة النبوية ص ١٤٣.

(٣) رواه أحمد: الفتح الرباني ٢٠/ ٢١٧، قال البنا: سنده جيد، وينظر: البداية والنهاية ٣/ ١٧٠.

(٤) رواه أحمد: الفتح الرباني ٢٠/ ٢١٦-٢١٧، وابن إسحاق: السيرة النبوية ٢/ ٢٨، والطبراني كما في مجمع الزوائد ٦/ ٣٩، وينظر: البداية والنهاية ٣/ ١٧٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٥٦٤.

بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ
وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [إبراهيم: ٩-١٠].

# الشبهة الرابعة

## اتهام الرسول عليه السلام بأنه يريد زعزعة الأمن وإيجاد الفرقة، ونشر الفساد والاضطراب في الأمة

هذا هو المبرر الثاني الذي أعلنه فرعون حين أبدى رغبته في قتل نبي الله موسى عليه السلام كما حكى القرآن:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

ففرعون بمقولته هذه يظهر شفقته على الناس، وخشيته عليهم مما جاء به موسى عليه السلام من الدين، وخوفه على الرعية من تحرك موسى في المجتمع إظهارا للفساد، وإثارة للفتنة، بما جاء به من عقائد تفرق بين الناس، وتوجد الاضطراب وتوقع الخصومة والخلاف، فيذهب الأمن، وتتعطل الحياة، وتضيع المصالح، وتتأثر التجارات والمكاسب، ونتيجة ذلك أن تفسد على الناس دنياهم فلا يحيون حياة طيبة ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾.

وهكذا تنقلب الموازين فيصبح الإصلاح إفسادا في الأرض.

يقول البقاعي: "سمى اللعين الصلاح ـ لمخالفته لطريقته الفاسدة ـ فسادا، كما هو شأن كل مفسد مع المصلحين"[١].

ويكرر الملأ شبهة زعيمهم، أثناء تداولهم الآراء معه في شأن موسى عليه السلام، فيعيدوا على سمعه مقولته ذاتها، ولكن على لسانهم هذه المرة، وكأنهم يريدون إبلاغه بأن رسالته إليهم وصلت، وأن ما ذكره عن موسى عليه السلام هو عين الصواب، وأن قناعتهم بذلك أمر لا يحتاج إلى نقاش، وأنهم أتباعه على كل حال.

---

(١) نظم الدرر ٦/ ٥٠٦.

إنه النفاق والمصانعة بغية الوصول إلى رضاه، والاستئثار بالقرب منه والمحافظة على مراكزهم عنده، وإشعاره بدورهم في الحفاظ على مصالحة وأمنه.

**يقول الله سبحانه:**

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

إنهم يقترحون على فرعون أن يعاجل موسى عليه السلام بما يراه من العقوبة، خشية أن يفسد في الأرض، لو أطلق له العنان.

وهم يقصدون بالإفساد هنا ما يعمّ الدين والدنيا، فالإفساد الدنيوي يتمثل في نشر الفرقة، وتشتيت الشمل، وتعطيل المكاسب والمصالح، وإثارة الفتنة بين الناس، والإفساد الديني - في زعمهم - يتحقق بما يأتي به موسى عليه السلام من الدعوة إلى توحيد الله سبحانه، والذي يتعارض مع المنهج القائم من عبادة فرعون والخضوع له.

يقول ابن كثير في تفسير الآية: "أي: أتدعهم ليفسدوا في الأرض، أي: يفسدوا أهل رعيتك، ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك. ياالله العجب صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه، ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لا يشعرون"[(١)].

ويشبه هذه المقولة من فرعون وملئه ما كان يصرح به أكابر قريش من المشركين عن رسول الله ﷺ، رغبة في تنفير الناس من إجابة دعوته، كقولهم للطُّفَيْل بن عمرو الدوسي لما قدم عليهم: "يا طُفَيل، إنك قدمت بلادنا وهذا

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٣٩، وينظر: تفسير ابن عاشور ٩/ ٥٨.

الرجل الذي بين أظهرنا قد أَعْضل بنا[١]، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئا"[٢].

هؤلاء المضلّلون يحذّرون الطفيل ﷺ، ويقدّمون بين يدي التحذير جملة من الاتهامات لرسول الله، ومنها أنه عليه الصلاة والسلام أفسد حياتهم، وفرق جماعتهم، وشتت أمرهم، ونشر الاضطراب في صفوفهم، وأشغلهم عن مصالحهم، ولذا فهو جدير بأن يُحذر منه.

ـ حاشاه ﷺ، أنقذ البشرية، وأخرجها من الظلمات إلى النور، بإذن ربها ـ.

(١) أي: أعيانا واشتدّ علينا أمره، وضاقت علينا الحيلة فيه، يقال: أعضله الأمر، وأعضل به. وأصل العَضْل المنع والشدة. ينظر: مقاييس اللغة ص٧٥٧، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٥٤.

(٢) من خبر إسلام الطفيل ﷺ، وهو من رواية ابن إسحاق دون إسناد: السيرة النبوية ١/ ٣٠٧، ورواه عنه البيهقي في الدلائل ٥/ ٣٦٠-٣٦١، وينظر: طبقات ابن سعد ٤/ ٢٣٧-٢٣٨، صفة الصفوة ١/ ٦٠٠-٦٠١، الاستيعاب ٢/ ٧٥٩-٧٦٢، زاد المعاد ٣/ ٦٢٤-٦٢٥، الإصابة ٣/ ٥٢١، البداية والنهاية ٣/ ١٢٣-١٢٤.

# المطلب الرابع

# الشبهات التي يقصد بها التشكيك في الرسول ﷺ من جهة منهجه وأسلوبه في الحياة وأثره في المجتمع

وتشتمل على الشبهات التالية:

**الشبهة الأولى:**

اتهام الرسول ﷺ بأنه يأتي بالغرائب والعجائب.

**الشبهة الثانية:**

القول بأن الرسول ﷺ يترفع عما اعتاده القوم من الشهوات.

**الشبهة الثالثة:**

التشاؤم بالرسول ﷺ والادعاء بأنه سبب الشدة والبلاء.

## الشبهة الأولى
## اتهام الرسول ﷺ بأنه يأتي بالغرائب والعجائب

يصور المكذبون الرسول ﷺ - من خلال مقولاتهم - رجلا يأتي بالأمور الغريبة والمسائل العجيبة، والقضايا التي يصعب فهمها، أو تصورها وإدراكها.

هؤلاء المضلّلون يتعجبون - أول الأمر - من قضية الرسالة ذاتها، ويظهرون استغرابهم من أن يكون هناك رسول من البشر، ويجعلون ذلك خارجا عن دائرة التصور، إذ هو أمر لم يُسمع به من قبل، ولم يتعوده الناس ولم يألفوه.

وقد حكى القرآن الكريم ذلك المنطق عن الملأ من قوم نوح ﷺ إذ قالوا:

﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

قال البقاعي في تفسيره للآية الكريمة: "﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ أي: بإرسال نبي من البشر يمنع أن يُعبد غير الله بقصد التقريب إليه، فجعلوا الإله حجرا، وأحالوا كون النبي بشرا ﴿ فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ولا سمعنا بما دعا إليه من التوحيد"[(١)].

**كما أورد القرآن ذلك أيضا من قول فرعون وملئه:**

﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القصص: ٣٦].

قال السمعاني: "أي بإرسال بشر رسولا"[(٢)].

والمعنى - كما يقول ابن كثير -: "ما سمعنا بهذا أي ببعثة البشر في آبائنا الأولين، يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم في الدهور الماضية"[(٣)].

**وكذلك حال كفار قريش، كما في قول الله تعالى:**

﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [ص: ٤].

---

(١) نظم الدرر ٥/ ١٩٦.

(٢) تفسير السمعاني ٣/ ٤٧١، وينظر: تفسير الزمخشري ٣/ ١٨٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٤.

﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: ٢].

كما يفهم استغراب المكذبين وتعجبهم الشديد من أن يكون البشر رسولا من قول الله ﷻ:

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ [يونس: ٢].

وقوله تبارك وتعالى على لسان نوح ؑ:

﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٣].

وعلى لسان هود ؑ:

﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾ [الأعراف: ٦٩].

ثم يُظهر الملأ المستكبرون بعد ذلك استغرابهم من الرسول من جهة المنهج الذي يأتي به، والقضايا التي يدعو إليها، فيفتعلون التعجب منها، ويثيرون حولها الجدل، ويحيطونها بهالة من الغرابة، ويخاطبون الرسول ؑ حين يواجهونه على هذا الأساس.

ومن هذه القضايا قضية التوحيد، والتي هي الأساس والمحور الذي تدور حوله دعوة الأنبياء عليهم السلام جميعا.

ففي قصة هود ؑ، حين دعا نبي الله إلى توحيد الله وعبادته وحده دون سواه، تعجب الملأ من هذا المطلب، واستغربوا مجيئه ؑ بهذا المنهج، وأجابوه بما حكاه القرآن الكريم:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠].

فهم يستنكرون ويستبعدون أن يأتيهم هود عليه السلام ليحدثهم في هذا الشأن الذي يرونه غريبا عجيبا ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ "لكأنما كان يدعوهم إلى أمر منكر لا يطيقون الاستماع إليه، ولا يصبرون على النظر فيه"(١).

وفي قصة صالح عليه السلام ينكر المكذبون أيضا على نبيهم عليه السلام أن يخاطبهم في أمر التوحيد:

﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

إن قضية التوحيد - في نظرهم - شديدة الغرابة، حرية بالتعجب منها وإنكارها، وتوبيخ من جاء بها، ولذ فقد واجهوا نبيهم عليه السلام بما تضمنته الآية الكريمة: ﴿ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ "لقد كان لنا رجاء فيك، كنت مرجوا فينا لعلمك أو لعقلك أو لصدقك أو لحسن تدبيرك أو لهذا جميعه، ولكن هذا الرجاء قد خاب ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ إنها للقاصمة، فكل شيء يا صالح إلا هذا، ما كنا لنتوقع أن تقولها، فيالخيبة الرجاء فيك، ثم إننا لفي شك مما تدعونا إليه، شك يجعلنا نرتاب فيك وفيما تقول: ﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، وهكذا يعجب القوم مما لا عجب فيه، بل يستنكرون ما هو واجب وحق، ويدهشون لأن يدعوهم أخوهم صالح إلى عبادة الله وحده، لماذا؟ لا لحجة ولا لبرهان ولا لتفكير، ولكن لأن آباءهم يعبدون هذه الآلهة. وهكذا يبلغ التحجر بالناس أن يعجبوا من الحق البين، وأن يعللوا العقائد بفعل الآباء"(٢).

---

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٣١١.

(٢) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٠٧، وينظر: تفسير الزمخشري ٢/ ٣٨٥، تفسير ابن عطية ٣/ ١٨٣، نظم الدرر ٣/ ٥٤٨، تفسير الجلالين ص٢٩٤، تفسير ابن عاشور ١٢/ ١١٠.

إنها "الجاهلية التي ترى في الرشد ضلالا، وفي الحق عجيبة لا تكاد تتصورها، فصالح الذي كان مرجوا في قومه لصلاحه، ولرجاحة عقله، وخلقه، يقف منه قومه موقف اليائس منه المفجوع فيه. لماذا؟ لأنه دعاهم إلى الدينونة لله وحده على غير ماورثوا عن آبائهم من الدينونة لغيره. إن القلب البشري حين ينحرف شعرة واحدة عن العقيدة الصحيحة لا يقف عند حد في ضلاله وشروده، حتى إن الحق البسيط الفطري المنطقي ليبدو عنده عجيبة العجائب التي يعجز عن تصورها، بينما هو يستسيغ الانحراف الذي لا يستند إلى منطق فطري أو منطق عقلي على الإطلاق"(١).

وفي قصة شعيب عليه السلام يصل التعجب والاستغراب من جهة المكذبين إلى حد التهكم بنبيهم عليه السلام في دعوته إلى عبادة الله وحده وتطبيق شرعه سبحانه، كما في قول الله جل وعلا:

﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧].

ووقف الملأ من قريش نفس الموقف من رسولنا ﷺ، حين دعاهم إلى أن يوحدوا الله تعالى بالعبادة، ويتركوا ما هم عليه من تعدد الآلهة والتوجه لها من دون الله عز وجل.

**قال جل شأنه:**

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٤-٥].

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ١٩١٠.

ولما اجتمع أشرافهم عند أبي طالب ـ كما في رواية ابن عباس رضي الله عنهما ـ "قال رسول الله ﷺ: يا عم إنما أريدهم على كلمة واحدة تدين[١] لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية.

قالوا: وما هي؟ نعم وأبيك عشرا. قال: لا إله إلا الله. قال: فقاموا وهم ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾"[٢].

فهم يعلنون تعجبهم واستغرابهم الشديدين من نبي الله عليه الصلاة والسلام، أن يأتيهم بكلمة التوحيد التي تبطل كل ما هم عليه من أوضاع الشرك.

ومن القضايا مثار الشبهة أيضًا لدى المكذبين قضية البعث بعد الموت، إذ يعتبرون أن الرسل عليهم السلام حين يقررون هذه العقيدة ـ بوحي ربهم سبحانه ـ إنما يأتون بالغرائب والمستحيلات التي يُتعجّب منها ومن قائليها، وبالتالي يصلون إلى الطعن في صحة نبوة الرسول عليه السلام من أصلها، بزعم أنه يأتي بمثل هذه المسائل التي لا تصح ولا تصدق ـ في تصورهم ـ.

وقد صنع الملأ المكذبون ذلك مع نبي الله هود عليه السلام، حين يخاطبون العامة بما يتضمن استبعادهم واستغرابهم لما يذكره هود عليه السلام من أحوال الآخرة، وذلك في قولهم ـ كما حكى القرآن الكريم ـ:

---

(١) (أي تطيعهم وتخضع لهم) النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٤٨.

(٢) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص ٥/ ٣٦٥-٣٦٦، وقال هذا حديث حسن، وأحمد، واللفظ له: الفتح الرباني ١٨/ ٢٥٨-٢٥٩، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. المسند ٣/ ٣١٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٩، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه أيضا ابن جرير: تفسير الطبري ٢٣/ ١٢٥، والواحدي في أسباب النزول ص ٣٠٩، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٣٤٥، وينظر: البداية والنهاية ٣/ ١٥١-١٥٣، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٧-٢٨، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ١٧٥-١٧٦.

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٥].

فهم يصرّحون بأن ما جاء به هود عليه السلام من البعث أمر غريب لا يمكن تصديقه، وهو مستبعد الوقوع حتما، ولذلك أكدوا زعمهم بقولهم ـ كما حكى القرآن الكريم ـ:

﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٦-٣٧].

"أي: بعيد ما توعدون أيها القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما، مخرجون أحياء من قبوركم"[١].

**وفي قصة شعيب عليه السلام نلحظ في خطاب المكذبين له ذات الاتهام:**

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود: ٩١].

"والمعنى: أنك تأتينا بما لا عهد لنا به من الإخبار بالأمور الغيبية كالبعث والنشور، ولا نفقه ذلك: أي لا نفهمه كما نفهم الأمور الحاضرة المشاهدة"[٢].

يقول الألوسي: "كأنهم جعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ، وأنواع العلوم والمعارف ـ إذ ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل ولم يجدوا إلى محاورته عليه السلام سبيلا ـ من قبيل التخليط والهذيان الذي لا يفهم معناه، ولا يدرك فحواه"[٣].

إن ما جاء به شعيب عليه السلام ـ فيما يقوله المضلّلون ـ أمور لا يتقبلها العقل، ولا يستجمعها الفهم، ولا يتصورها الإدراك، ومن ثَمّ فهو رجل يأتي بما هو عجيب في حس البشر، غريب على أذهانهم.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٢٠، وينظر نظم الدرر ٥/ ١٩٩-٢٠٠.

(٢) فتح القدير ٢/ ٥٢٠.

(٣) روح المعاني ١٢/ ١٢٣.

وحين جاء رسولنا ﷺ بالعقيدة الصحيحة افتعل المشركون العجب وأظهروا الاستغراب.

**يقول الله تبارك وتعالى:**

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾ [سبأ: ٧-٨].

"يعنون بذلك الرجل رسول الله ﷺ، وأنه رجل أتى بما يستغرب منه، حتى صار ـ بزعمهم ـ فرجة يتفرجون عليه، وأعجوبة يسخرون منه، وأنه كيف يقول: إنكم مبعوثون بعدما مزقكم البلى، وتفرقت أوصالكم، واضمحلت أعضاؤكم؟ فهذا الرجل الذي أتى بذلك: هل ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فتجرأ عليه وقال ما قال، ﴿ أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾ فلا يستغرب منه"(١).

"إلى هذا الحد من الاستغراب والدهش كانوا يقابلون قضية البعث، فيعجبون الناس من أمر القائل بها، في أسلوب حاد من التهكم والتشهير ﴿ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴾ هل ندلكم على رجل عجيب غريب، ينطق بقول مستنكر بعيد، حتى يقول: إنكم بعد الموت والبلى والتمزق الشديد تُخلقون من جديد وتعودون للوجود.

ويمضون في العجب والتعجب، والاستنكار والتشهير ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾ فما يقول مثل هذا الكلام بزعمهم إلا كاذب يفتري على الله مالم يقله، أو مسته الجن فهو يهذي أو ينطق بالعجيب الغريب"(٢).

---

(١) تفسير السعدي ٤/ ١٧٩، وينظر: نظم الدرر ٦/ ١٥٥.

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٨٩٥.

ويقول الله جل وعلا:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففتّه، فقال: يا محمد، أيبعث الله هذا بعد ما أرم؟[1] قال: نعم، يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم. قال: فنزلت الآيات ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ إلى آخر السورة"[2].

وواضح في كلام العاص بن وائل الاستغراب الشديد من قضية البعث، وإظهار العجب من القائل بذلك ﷺ.

والعاص في مقولته هذه ما هو إلا نموذج ومثال لأولئك المنكرين للبعث من المضلّلين.

---

(١) أي فني وبلي: ينظر النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٠.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٦، وصححه، ووافقه الذهبي. وابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٢٠٢، وابن جرير عن سعيد بن جبير مرسلا: تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠-٣١، وينظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٥٨١، الدر المنثور ٧/ ٧٤، صحيح السيرة النبوية ص٢٠٠-٢٠١.

## الشبهة الثانية

## القول بأن الرسول عليه السلام يترفع عما اعتاده القوم من الشهوات

هذا هو الاتهام الموجه إلى نبي الله لوط عليه السلام، وهو في الحقيقة شرف وثناء، لكن أعداء الرسل عليهم السلام يقلبون الموازين، فيصبح الهدى ـ في مفاهيمهم المعكوسة ـ ضلالا، والحق باطلا، وسبيل الفاحشة رفعة وجمالا.

وبالتالي فإن من يتنزه عن طريق هؤلاء المضلّين يوصم بالخروج عن طبيعة المجتمع، وبالتطهر الذي لا يليق بالأفراد الأسوياء من القوم.

على كل حال كان هذا هو جواب المكذبين للوط عليه السلام حينما دعاهم إلى دين الله سبحانه، وترك ما هم عليه من الشرك والفواحش، والقذارة والشذوذ.

**قال الله تبارك وتعالى:**

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل: ٥٦].

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢].

والمعنى: يقول أولئك المستكبرون "إن لوطا ومن تبعه أناس يتنزهون عما نفعله نحن"(١).

فما يعتبر شرفا وفضيلة للوط عليه السلام، جعله المكذبون شبهة يثيرونها حوله، تشكك في منهجه وأسلوبه في الحياة، وتصفه بالتشدد والانعزال عن حياة المتعة التي يعيشها الآخرون، ومن ثَمّ فلا يستحق لوط عليه السلام أن يعيش معهم في مجتمعهم، أو أن ينظروا إليه نظرة إجلال واقتداء، أو أن يتبعوه فيما جاء به، لأنه

---

(١) تفسير الطبري ٨/ ٢٣٥، وينظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٤٥، تفسير الزمخشري ٣/ ٣٧٩.

رجل غريب في أطواره، يحيا حياة ثقيلة مقيدة، تختلف عن أوضاع القوم، وأسلوبهم في الحياة والمتعة، وبالتالي فهو لا يستحق المعايشة، فضلا عن التصديق والاتباع.

**ذلك ما نطقت به أفواه الجاهلين.**

## الشبهة الثالثة

## التشاؤم بالرسول ﷺ والادعاء بأنه سبب الشدة والبلاء

يتشاءم أعداء الحق بالرسل عليهم السلام، ويعتبرونهم سببا لما يلحق بالمجتمع من النكبات، وما يصيبه من الأضرار في الأمن والاستقرار، أو المكاسب والتجارات، أو الزراعة والثمرات، ويشيعون بين القوم أن ما أصابهم من ذلك إنما هو بسبب وجود الرسول بينهم.

**نلحظ ذلك في قصة موسى عليه السلام كما قال الله سبحانه:**

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣١].

والتطير في هذه الآية ومثيلاتها بمعنى التشاؤم[١].

يقول ابن جرير في تفسير الآية الكريمة: "يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون في دنياهم، ﴿ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ ﴾ نحن أولى بها، ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ يعني جدوب وقحوط وبلاء ﴿ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ يقول: يتشاءموا بهم ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا[٢] من الرخاء والخصب والعافية، مذ جاءنا موسى عليه السلام"[٣].

---

(١) ينظر: المفردات ص٣١٥، تفسير الزمخشري ٢/ ١٣٦، بصائر ذوي التمييز ٣/ ٥٣٣، تفسير ابن عاشور ٩/ ٦٥-٦٦.

(٢) الأنصباء جمع نصيب، والنصيب: الحظ. ينظر ترتيب القاموس المحيط ٤/ ٣٧٩.

(٣) تفسير الطبري ٩/ ٢٩، وينظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٥٧، تفسير ابن عطية ٢/ ٤٤٣، نظم الدرر ٣/ ٨٩.

فآل فرعون إذا ألمت بهم الأزمات، ونزلت بهم المصائب، ولحقت بهم الكوارث والنكبات، تشاءموا بموسى ﷺ، واعتبروه السبب فيما أصابهم من هذه الملمات، وأعلنوا للناس أن موسى ﷺ - كما يزعمون - رأس كل مصيبة، وأساس كل بلية، تلحق بهم في أمنهم واستقرارهم، أو في معيشتهم وثمارهم وأرزاقهم.

**ونلحظ ذلك أيضا في تشاؤم المكذبين بني الله صالح ﷺ:**

﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ [النمل: ٤٧].

"أي: تشاءمنا بك، لأن الذي يصيبنا من شدة وقحط فهو بشؤمك وشوم من معك"(١).

فهم يجعلون صالحا ﷺ سببا لما يصيبهم من الشرور والبلاء، مظهرين تضايقهم من وجوده بينهم، معتبرين أن توقفه عما يدعو إليه، وانتهائه عما جاء به، أمر ضروري ليعود للمجتمع رخاؤه وعافيته.

**وفي قصة أصحاب القرية يعلن المكذبون أيضًا تشاؤمهم بالرسل الكرام عليهم السلام:**

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ ﴾ [يس: ١٨].

أي: "إننا نتشاءم منكم ونتوقع الشر في دعوتكم"(٢).

ويتكرر الحال مع رسولنا ﷺ، إذ يُظهر أعداء الدعوة من المنافقين تشاؤمهم به عليه الصلاة والسلام، ويسندون إليه ما يصيبهم من الشدائد، وما يسيئهم من

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٣، وينظر: تفسير الزمخشري ٣/ ٣٧٦، تفسير الجلالين ص٥٠٠.

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٦٢، وينظر: تفسير الواحدي ٢/ ٨٩٨، تفسير السمعاني ٤/ ٣٧١، تفسير الزمخشري ٤/ ١١، تفسير الجلالين ص٥٨٠، تفسير ابن عاشور ٢٢/ ٣٦٢-٣٦٣.

الأزمات، كما قال الله ﷻ:

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ [النساء: ٧٨].

والآية نزلت في المنافقين كعبدالله بن أُبَيّ وأمثاله وأشياعه، رجح ذلك عدد من المفسرين[١].

يقول ابن كثير: "﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ أي: خصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك ﴿ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: قحط وجدب ونقص في الثمار والزروع، أو موت أولاد أو نتاج، أو غير ذلك ﴿ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ أي: من قبلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك".

ثم قال بعد أن ذكر بعض النماذج في التطير من خلال آيات أخرى: "وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهرا وهم كارهون له في نفس الأمر، ولهذا إذا أصابهم شر إنما يسندونه إلى اتباعهم للنبي ﷺ"[٢].

فالرسول عليه الصلاة والسلام - في زعم هؤلاء المنافقين - مصدر البلايا، وسبب الرزايا[٣]، وأساس المحن.

تلك هي السمة العامة التي يعلنها المكذبون عن رسل الله عليهم السلام، ومن ثَمّ

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي ١/ ٣٤٥، تفسير ابن عطية ٢/ ٨١، تفسير الفخر الرازي ١٠/ ١٨٥، تفسير ابن كثير ١/ ٥٢٧، فتح القدير ١/ ٤٨٨-٤٨٩، تفسير القاسمي ٥/ ٣١٢-٣١٣، ٣١٥-٣١٦، تفسير ابن عاشور ٥/ ١٢٩، وذكر بعض المفسرين نزولها في المنافقين واليهود جميعا. ينظر: تفسير الواحدي ١/ ٢٧٦، تفسير البغوي ١/ ٤٥٤، تفسير القرطبي ٥/ ١٨٣، تفسير أبي السعود ٢/ ٢٠٥.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٢٧، وينظر: تفسير السمرقندي ١/ ٣٤٥، تفسير الواحدي ١/ ٢٧٦، تفسير السمعاني ١/ ٤٤٩-٤٥٠، نظم الدرر ٢/ ٢٨٤.

(٣) أي: المصائب، جمع رزيئة. ينظر ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٣٣٠.

فإن أعداء الدعوات لا يخفون رغبتهم العارمة في أن تنتهي هذه البلية المعضلة ـ بزعمهم ـ والمتمثلة في رسول من الرسل عليهم السلام.

وهم يطلبون أحيانا ممن دونهم أن ينتظروا معهم لحظة الخلاص والفكاك من هذا الرسول، الذي تسبب ـ بزعمهم ـ في الجهد والعناء والمشقة للمجتمع، كما فعل سادة الكفر من قوم نوح عليه السلام في خطابهم للعامة من الناس، إذ قالوا كما حكى القرآن الكريم:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٢٥].

قال البغوي: "يعني إلى أن يموت فتستريحوا منه"(١).

فهم يوصون بعدم التأثر به، والانتظار عليه حتى يأتيه الموت، فيستريح الجميع من بلائه وعنته ـ كما يزعمون ـ.

**ومثل ذلك قاله المكذبون في حق رسولنا ﷺ:**

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠].

والمعنى كما يقول ابن جرير: "هو شاعر نتربص به حوادث الدهر، يكفيناه بموت، أو حادثة متلفة"(٢).

وكما كان يقول العاص بن وائل إذا ذُكر رسول الله ﷺ: "دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو هلك انقطع ذكره، واسترحتم منه"(٣).

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٠٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٧/ ٣١، وينظر تفسير ابن عاشور ٢٧/ ٦١-٦٢.

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول ص٤٠٤ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رومان، قال: كان العاص بن وائل...، وينظر: تفسير البغوي ٤/ ٥٣٤، تفسير ابن كثير ٤/ ٥٥٩، السيرة النبوية ١/ ٣١٦، البداية والنهاية ٣/ ١٣٠.

والملأ يرومون بهذه الأساليب الإيحاء للقوم بأن خطر الرسول ﷺ ـ في زعمهم ـ يمس الجميع، وأن الكل سواء في انتظار لحظة الخلاص، وأن المشاعر السلبية تجاه الرسول ﷺ مسألة يتفق عليها الجميع، ولا نزاع فيها ولا جدال، وبالتالي تتسع دائرة المبغضين للرسول ﷺ، المناهضين له ولدعوته، وذلك ما يصبو إليه أكابر المجرمين.

# المبحث الثالث
# شبهات حول المؤمنين

ويشتمل على الشبهات التالية:

**الشبهة الأولى:**

اتهام المؤمنين بالكذب.

**الشبهة الثانية:**

اتهام المؤمنين بالضلال.

**الشبهة الثالثة:**

اتهام المؤمنين بالسفه.

**الشبهة الرابعة:**

اتهام المؤمنين بأنهم يتعجلون الأمور دون روية أو تفكير.

**الشبهة الخامسة:**

القول بأن المؤمنين من فقراء الناس وأقلهم شأنا.

**الشبهة السادسة:**

اتهام المؤمنين بأنهم يفتقدون الإخلاص وسلامة النية، وأن إيمانهم إنما كان لأغراض ومطامع ذاتية.

**الشبهة السابعة:**

الطهارة والعفة مطعن في المؤمنين بزعمهم.

**الشبهة الثامنة:**

التشاؤم بالمؤمنين.

## الشبهة الأولى
## اتهام المؤمنين بالكذب

وصف المستكبرون من قوم نوح عليه السلام الفئة المؤمنة بالكذب، وذلك حين أثاروا عليه وعلى نبي الله نوح عليه السلام مجموعة من الشبهات ختموها بوصف الجميع بالكذب.

**قال الله سبحانه:**

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

والاتهام بالكذب هنا يشمل نوحا عليه السلام وأتباعه المؤمنين.

قال ابن كثير: "﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ أي: فيما تدّعونه لكم من البر والصلاح والعبادة والسعادة"(١).

وقال النسفي: " ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ أي: نوحا في الدعوة، ومتبعيه في الإجابة والتصديق. يعني تواطأتم على الدعوة والإجابة تسببا للرياسة"(٢).

فالمؤمنون بالله جل وعلا، المستجيبون لدينه على لسان نبيه نوح عليه السلام، متهمون بأنهم يخالفون الحقائق، ويزوّرون الوقائع، ويكذبون في ادعاءاتهم ومقولاتهم عن الدعوة وعلاقتهم بها، وما فيها من الحق والهدى، وما ينتج عنها من الخير والسعادة.

كما أنهم - في زعم الكافرين - متهمون بالكذب في جديتهم في هذا الاتباع

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٢.

(٢) تفسير النسفي ٢/ ٥٢، وينظر: تفسير ابن عطية ٣/ ١٦٤، تفسير ابن عاشور ١٢/ ٤٩.

لنوح عليه السلام، والكذب في ما يظهرونه من الاقتناع بالدين، والتصديق بالدعوة، يدفعهم إلى هذا التظاهر بالاستجابة ـ مع كذبه في الحقيقة والواقع ـ غرض وهوى، ومصلحة اتفقت مع مصلحة نوح عليه السلام في ادعاء الرسالة ـ بزعمهم ـ.

ومن ثَمّ فإن وضع هؤلاء المؤمنين لا يشجع على الالتحاق بهم، والاستجابة لما استجابوا له من دعوة نوح عليه السلام، ما دامت تلك الدعوة يحملها ويلتزم بها ويتحرك من أجلها مجموعة من الكاذبين ـ كما يزعم المضلّلون المعاندون ـ.

## الشبهة الثانية
## اتهام المؤمنين بالضلال

ذلك هو الوصف المعتاد على ألسنة صناديد قريش من المشركين، يتهمون به الفئة المؤمنة التي استجابت لدين الله ﷻ، واتبعت رسوله عليه الصلاة والسلام، كما يقرر ذلك قول الله سبحانه عن هؤلاء المجرمين حال مشاهدتهم طائفة من المؤمنين(1):

﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ [المطففين: ٣٢].

وهم يؤكدون هذا الاتهام للمؤمنين ﷺ بالضلال، بسبب خروجهم عن ملة القوم، وتبرئهم مما يعيشون من أوضاع الشرك وسبل الغواية، مستجيبين في ذلك لمنهج الله تعالى، يتوجهون له بالعبادة وحده دون سواه، ويسيرون في طاعته على نور منه جل شأنه، ولذا استحقوا ـ في نظر المجرمين ـ أن يوصفوا بالضلال الأكيد.

ويبدو أن هناك سببا آخر استحقوا من أجله هذا الاتهام ـ في نظر المشركين ـ وهو أن هذه الفئة المؤمنة تعيش مخدوعة في أوهام لا حقيقة لها، وأساطير لا برهان عليها، حين يصدقون بالآخرة والجزاء، وبالبعث والحساب، فيحرمون أنفسهم من كثير من المتاع، أملا في جزاء الآخرة المستبعد حصولها ـ في زعم المنكرين ـ وبالتالي يستحق المؤمنون وصف الضلال بحياتهم في هذه الأوهام.

وإلى هذا يشير النسفي في تفسير الآية الكريمة إذ يقول: "﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ أي: خدع محمد هؤلاء، فضلّوا وتركوا اللذات، لما يرجونه في الآخرة

---

(1) ينظر: تفسير الطبري ٣٠/ ١١٠-١١١، تفسير البغوي ٤/ ٤٦٢، زاد المسير ٨/ ٢٠٧، تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٥-١٧٦، تفسير الثعالبي ٤/ ٣٩٧.

من الكرامات، فقد تركوا الحقيقة بالخيال، وهذا هو عين الضلال"[(١)].

هذه المقولة وأمثالها تبرز صورة ونموذجا للفطرة حين تنتكس، والبصيرة حين يصيبها العمى، وحينذاك تنعكس المفاهيم، وتضطرب التصورات، وتنقلب الموازين.

---

(١) تفسير النسفي ٣/ ٦٦٦، وينظر: تفسير السمعاني ٦/ ١٨٤، نظم الدرر ٨/ ٣٦٥، تفسير الجلالين ص٩٧٨، تفسير ابن عاشور ٣٠/ ٢١٣.

# الشبهة الثالثة

## اتهام المؤمنين بالسفه

حكى القرآن الكريم هذا الوصف على لسان المنافقين كعبدالله بن أُبَيّ رأس النفاق وأمثاله، يذكرون به المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ، و﵃.

يقول الله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [البقرة: ١٣].

قال ابن جرير: "والسفهاء جمع سفيه، والسفيه: الجاهل، الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار... وإنما عنى المنافقون بقيلهم: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ إذا دعوا إلى التصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله، والإقرار بالبعث، فقيل لهم: آمنوا كما آمن أصحاب محمد وأتباعه من المؤمنين المصدقين به، أهل الإيمان والتصديق بالله، وبما افترض عليهم على لسان رسوله محمد ﷺ وفي كتابه، وباليوم الآخر، فقالوا إجابة لقائل ذلك لهم: أنؤمن كما آمن أهل الجهل، ونصدق بمحمد ﷺ، كما صدق به هؤلاء الذين لا عقل لهم ولا أفهام؟"(١).

فأصحاب رسول الله ﷺ و﵃ ـ في نظر هؤلاء المنافقين ـ أهل سفه وجهل، وخفة في الأحلام، وضعف في الآراء.

وهم يستحقون هذا الوصف ـ بزعم المنافقين ـ لإيمانهم بدعوة رسولنا عليه الصلاة والسلام حقا وصدقا، ودخولهم في دينه والتزامهم منهجه واقعا وفعلا، إذ أن هذا الدين ـ في نظر أهل النفاق ـ باطل لا يستحق الاتباع، إلى جانب ما يترتب

---

(١) تفسير الطبري ١/ ١٢٨ (مع اختصار)، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٤٦، المفردات ص٢٤٠، غريب القرآن للسجستاني ص٢٧٣، الدر المنثور ١/ ٧٧.

على هذه الدعوة من المصاعب والمشاق، وفراق الأوطان، والتعرض للعداوات، بما قد يفسد المال، ويتلف النفس، ويضعف الأمن والاستقرار، ومن ثَمّ فصاحب العقل الرشيد، والرأي السديد ـ حسب مقولتهم ـ لا يفكر في التجاوب مع ما جاء به نبي الله عليه الصلاة والسلام.

ويبدوا أن فقر المؤمنين غالبا هو وجه آخر يضاف إلى ما سبق، استحقوا به أيضًا ذلك الوصف من المنافقين.

يقول الرازي: "وإنما سمى المنافقون المسلمين بالسفهاء، لأن المنافقين كانوا من أهل الخطر والرياسة، وأكثر المؤمنين كانوا فقراء، وكان عند المنافقين أن دين محمد ﷺ باطل، والباطل لا يقبله إلا السفيه، فلهذه الأسباب نسبوهم إلى السفاهة"(١).

**ويقول صاحب الظلال عن ركب النفاق أيضًا:**

"وواضح أن الدعوة التي كانت موجهة إليهم في المدينة هي أن يؤمنوا الإيمان الخالص المستقيم المتجرد من الأهواء، إيمان المخلصين الذين دخلوا في السلم كافة، وأسلموا وجوههم لله، وفتحوا صدورهم لرسول الله ﷺ، يوجههم فيستجيبون بكليتهم مخلصين متجردين، هؤلاء هم الناس الذين كان المنافقون يُدْعَون ليؤمنوا مثلهم هذا الإيمان الخالص الواضح المستقيم.

وواضح أنهم كانوا يأنفون من هذا الاستسلام للرسول ﷺ، ويرونه خاصا بفقراء الناس غير لائق بالعلية ذوي المقام، ومن ثم قالوا قولتهم هذه: ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾"(٢).

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢/ ٦٨، وينظر: تفسير الزمخشري ١/ ١٠٢.

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٣٨.

## الشبهة الرابعة
## اتهام المؤمنين بأنهم يتعجلون الأمور دون روية أو تفكير

كان من ضمن شبهات الملأ حول المؤمنين بني الله نوح ﷺ أن اتباع هؤلاء المؤمنين لنوح ﷺ كان ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْيِ ﴾.

قال تعالى:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ ﴾ [هود: ٢٧].

قرأ أبو عمرو بالهمز بعد الدال (بادىء)، وقرأ الباقون بغير همز (بادىَ الرأي)[١].

قال اليزيدى: "من همز أراد: في مبتدأ الرأي، وهو أوله، ومن لم يهمز أخذه من: بدا، يبدو: أي ظهر، كقولك ظاهر الرأي"[٢].

وفي المراد بذلك أقوال أوردها المفسرون[٣]، منها قول الزمخشري: "أرادوا أن اتباعهم لك إنما هو شيء عنّ[٤] لهم بديهة، من غير رويّة ونظر"[٥].

واقتصر عليه البغوي فقال: "قرأ أبو عمرو (بادىء) بالهمز، أي أول الرأي، يريدون أنهم اتبعوك في أول الرأي من غير روية وتفكر، ولو تفكروا لم يتبعوك.

---

(١) ينظر: إبراز المعاني ص٥١٣، سراج القارئ ص٢٤٨.

(٢) غريب القرآن ص١٧٣، وينظر: تفسير الزمخشري ٢/ ٣٦٨، تفسير البحر المحيط ٥/ ٢١٥، إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣٧.

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية ٣/ ١٦٣-١٦٤، زاد المسير ٤/ ٧٨-٧٩، تفسير الفخر الرازي ١٧/ ٢١٢-٢١٣، تفسير البحر المحيط ٥/ ٢١٥، حجة القراءات ص٣٣٨، إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣٧.

(٤) عنّ بمعنى ظهر. ينظر: مقاييس اللغة ص٦٢٧.

(٥) تفسير الزمخشري ٢/ ٣٦٨.

وقرأ الآخرون بغير همز، أي ظاهر الرأي، من قولهم: بدا الشيء إذا ظهر، معناه اتبعوك ظاهرا من غير أن يتدبروا ويتفكروا باطنا"[١].

ومن ثَمّ فإن المعنيين ـ على هذا القول ـ مآلهما واحد[٢].

يقول ابن عاشور: "يعنون أن هؤلاء قد غرتهم دعوتك، فتسرعوا إلى متابعتك، ولو أعادوا النظر والتأمل لعلموا أنك لا تستحق أن تتبع"[٣].

ويشرح ابن كثير أيضًا شبهة المكذبين فيقول على لسانهم إذ يخاطبون نبيهم نوحا عليه السلام: "هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن ترو منهم، ولا فكر ولا نظر، بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك، ولهذا قالوا: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ أي: في أول بادىء الرأي"[٤].

**ويقول معلقا على ما اعتبره المكذبون نقصا، وأثاروا حوله الشبهة:**

"وهذا الذي رموهم به هو عين ما يمدحون بسببه ﷺ، فإن الحق الظاهر لا يحتاج إلى روية ولا فكر ولا نظر، بل يجب اتباعه والانقياد له متى ظهر"[٥].

وعلى ذلك فهذه هي إحدى الاتهامات الموجَّهة إلى المؤمنين بدعوة نوح عليه السلام: أنهم يتصفون بالبساطة البلهاء، والتفكير الساذج، لا تأمل عندهم ولا روية، ولا نظر ولا تمحيص، بل يتعجلون الأمور، ويتبعون كل مناد دون أدنى تمهل أو

---

(١) تفسير البغوي ٢/ ٣٨٠، وينظر: تفسير الجلالين ص٢٨٨، روح المعاني ١٢/ ٣٧-٣٨، فتح القدير ٢/ ٤٩٣.

(٢) ينظر: تفسير ابن عاشور ١٢/ ٤٨.

(٣) تفسير ابن عاشور ١٢/ ٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٢.

(٥) قصص الأنبياء ١/ ٩٥.

تثبت، وهذا يدل على نقص في العقل، وضعف في الإدراك، ومن كانت هذه حالهم فليس من اللائق ـ في زعم المضلّلين ـ السير خلفهم، والاقتداء بهم، أو سلوك طريقهم، والانضمام لجمعهم، إذ أن إيمان هؤلاء المؤمنين ـ وهم بهذا الوصف ـ لا يضيف للدعوة رصيدا يرفع من قدرها، ويعلي من شأنها، أو يعطيها اليقين بصدقها، ويشعر بقوة الحق فيها.

قال صاحب الظلال في تعليقه على هذا الاتهام: "﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ ﴾: "أي: دون ترو ولا تفكر. وهذه تهمة كذلك توجّه دائما من الملأ العالين لجموع المؤمنين، أنها لا تتروى ولا تفكّر في اتباع الدعوات. ومن ثَمّ فهي متهمة في اتباعها واندفاعها، ولا يليق بالكبراء أن ينهجوا نهجها ولا أن يسلكوا طريقها"[1].

(١) في ظلال القرآن ٤/ ١٨٧٢.

## الشبهة الخامسة

## القول بأن المؤمنين من فقراء الناس وأقلهم شأنا

بقدر من الله سبحانه كان أتباع الرسل عليهم السلام في الغالب ـ خصوصا في بداية الدعوات ـ من عامة الناس وضعفائهم، وليسوا من ذوي السيادة والثراء.

وقد اتخذ الملأ المستكبرون من هذا الوضع الاجتماعي الذي يغلب على المؤمنين أداة يلوونها لنصرة اتجاههم الباطل، ومجالا لشبهة يثيرونها حول الفئة المؤمنة، يعللون بها رفضهم لمنهج الله تعالى.

إن الفئة المؤمنة ـ حسب مقولة المستكبرين ـ ليسوا ممن يُحسب لهم وزن، أو يُعتبر لهم شأن، من الأشراف وأصحاب الثروة والزعامة في القوم، وإنما هم مجموعة فقيرة، ليس لها نصيب من الدنيا، ولا حول لهم فيها ولا شأن، هم الأقلون مالا، وهم الأدنون جاها، لا منصب لهم ولا سيادة، ولا مركز لهم في المجتمع ولا مكانة، أحوالهم ضعيفة، ووظائفهم وأعمالهم دنيئة، وبالتالي فإنهم لا يستحقون أن يسلك الكبراء مسلكهم، أو ينهجوا منهجهم، فيؤمنوا بما آمنوا به، ويقفوا بجوارهم في صف المؤمنين.

**ومن قال بهذه المقولة، وأثار هذه الشبهة، قادة الكفر من قوم نوح عليه السلام كما قال الله عز وجل:**

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ [هود: ٢٧].

قال القرطبي: "الأراذل هنا هم الفقراء والضعفاء"(١).

وقال صاحب المنار: "يعنون بهم من دون طبقة الأشراف والأكابر كالزراع والصناع والعمال"(٢).

فالآية الكريمة تشير إلى أن الملأ اعتبروا قلة المال لدى المؤمنين، وخلوهم من الجاه الدنيوي، شبهة تحط من شأنهم، وتدني من قدرهم، وبالتالي فإنه حريٌّ بأشراف القوم أن يترفعوا عن الدخول في دين دخله هؤلاء، وأن يستنكفوا عن معايشة فئة هذه أوصافها ومكانتها في المجتمع، ولذا قالوا لنوح عليه السلام أيضًا ما حكاه عنهم القرآن:

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١].

وعلى هذا النمط من التفكير أيضًا سار الملأ من قريش حين استرذلوا من اتبع رسول الله ﷺ في بداية الدعوة، واعتبروا سلوك هؤلاء الفقراء سبيل رسول الله ﷺ شبهة تمنعهم من الاستجابة، إذ كيف يدخلون دينا دخله أولئك الأقلون من الناس رضوان الله عليهم، الذين لا خدم لهم ولا حشم، ولا مال ولا ثروة، ولا شرف ولا جاه، وكيف يرضون لأنفسهم أن يسيروا في نفس المسار؟

ولذا طلبوا من رسول الله ﷺ أن ينأى عن هؤلاء الضعفاء، بل قالوا له: "اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا" يقصدون بلالا وابن مسعود وأمثالهما رضوان الله عليهم أجمعين(٣).

---

(١) تفسير القرطبي ٩/ ١٧، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص٦٣، تفسير الفخر الرازي ١٧/ ٢١٢.
قال أهل اللغة: الرَّذْل والأرْذَل: الخسيس والرديء والدون من كل شيء. ينظر: مقاييس اللغة ص٤٣٠، المفردات ص٢٠٠، ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٣٢٩، بصائر ذوي التمييز ٣/ ٦٥.

(٢) تفسير المنار ١٢/ ٦١، وينظر: تفسير الواحدي ١/ ٥١٨، ٢/ ٧٩٢، تفسير ابن عاشور ١٢/ ٤٨، ١٩/ ١٦٠.

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ ٢/ ١٨٧٨.

إن أولئك المستكبرين يرون أن إيمان هؤلاء الضعفاء رضوان الله عليهم لا يوجد للدعوة قيمة أو مكانة، ولا يجعل لها شأنا أو وزنا، بل إن دخول أمثال هؤلاء في الإسلام دلالة على بطلانه ـ بزعمهم ـ وعلامة على أن منهج هذا الدين غير سديد ولا قويم، ولا يقوم على حق أو هدى، إذ لو كان كذلك لاتبعه الكبراء، ولكانوا هم السابقين.

ومن ثَمّ فقد أظهروا الأنفة من أن يكونوا تبعا في الإيمان لهذه الفئة المؤمنة.

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: "مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء"[(١)].

وفي رواية ابن جرير: "فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعا لهؤلاء؟ اطردهم، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٣][(٢)].

والمقصود بالاستفهام في: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ الإنكار والتعجب "أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه"[(٣)].

---

(١) رواه أحمد: الفتح الرباني ١٨/ ١٣٧، والواحدي في أسباب النزول ص١٧٩، قال الهيثمي (رجال أحمد رجال الصحيح غير كُردوس وهو ثقة) مجمع الزوائد ٧/ ٨٨.

(٢) رواه ابن جرير: تفسير الطبري ٧/ ٢٠٠، قال شاكر (إسناده صحيح) ٦/ ٣٦ ط دار المعارف، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٦، الدر المنثور ٣/ ٢٧٢.

(٣) تفسير الجلالين ص١٧٠، وينظر: تفسير السمعاني ٢/ ١٠٨، تفسير ابن عاشور ٧/ ٢٤٥.

يقول ابن القيم: "أنكروا أن يكون الله سبحانه أهّلهم للهدى والحق وحرمه رؤساء الكفار وأهل العز منهم والثروة، كأنهم استدلوا بعطاء الدنيا على عطاء الآخرة"(١).

هذا هو حال المترفين من قادة الكفر ورؤساء الضلال مع أتباع الرسل عليهم السلام، إذ يحتجون بأنهم يملكون المال والجاه، والمتاع الدنيوي، وهذا دليل على أنهم يملكون الحق أيضًا، وأنهم يسيرون في الاتجاه الصحيح.

وبالمقابل فإن فقر المؤمنين، وقلة جاههم، وضعف أحوالهم، دليل مادي ظاهر على بطلان دينهم، وضلال عقائدهم، ومن ثَمّ فإنهم أولى بالمجابهة، لا بالتأسي والاقتداء.

**قال تبارك وتعالى:**

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٤-٣٥].

قال ابن كثير: "افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة"(٢).

---

(١) التفسير القيم ص٣١٢، وينظر: تفسير الواحدي ١/ ٣٥٥، تفسير ابن كثير ٢/ ١٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٤٠، وينظر: تفسير الزمخشري ٣/ ٥٩٥، نظم الدرر ٦/ ١٨٥.

والمقصود بالمترفين من أودت بهم سعة النعمة المالية، وعلو المكانة الاجتماعية، إلى البطر والكبرياء، والشر والفساد، والبغي والطغيان.

عن قتادة في لفظ: (مترفوها) في الآية الكريمة قال: (هم جبابرتهم ورؤوسهم وأشرافهم وقادتهم في الشر) الدر المنثور ٦/ ٧٠٤.

وقال السجستاني (مترفوها الذين نعموا في الدنيا في غير طاعة الله تبارك وتعالى) غريب القرآن ص٤٤٤.

قال أهل اللغة: رجل مُتْرف: أي مُنَعَّم، وأترفته النعمة: أي أطغته، والترفّه: التوسع في النعمة. ينظر: مقاييس اللغة ص١٥٤، المفردات ص٨١، معجم الألفاظ القرآنية ص٢٠٥، ترتيب القاموس المحيط ١/ ٣٦٦، نظم الدرر ٦/ ١٨٤.

وكأن لسان حالهم يقول: "إن كان ثَمّ آخرة كما تقولون، فنحن أسعد منكم فيها، كما نحن أسعد منكم الآن"[١].

يقول ابن عاشور: "وهذا من تمويه الحقائق بما يحفّ بها من العوارض، فجعلوا ما حفّ بحالهم في كفرهم من وفرة المال والولد حجة على أنهم مظنّة العناية عند الله وأن ما هم عليه هو الحق.

وهذا تعريض منهم بعكس حال المسلمين، بأن حال ضعف المسلمين وقلة عددهم، وشظف عيشهم، حجة على أنهم غير محظوظين عند الله"[٢].

**هذه المقارنة نلحظها أيضًا في قول مشركي قريش كما في قول الله جل وعلا:**

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ [مريم: ٧٣].

والمقام: هو المنزل والمسكن، والنَّدِيُّ بمعنى النادي: وهو مجلس القوم الذي يجتمعون فيه للحديث وتبادل الرأي[٣].

ومعنى الآية: "أن هؤلاء الكفرة إذا تليت عليهم آياته تعالى، بينة الحجة واضحة البرهان على مقاصدها، أعرضوا، وأخذوا يحتجون على فضل ما هم عليه بكونهم أوفر حظا من الدنيا، لكونهم أحسن منازل، وأرفع دورا، وأعمر ناديا، وأكثر طارقا وواردا، أي: فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل، وأولئك

---

(١) نظم الدرر ٦/ ١٨٥.

(٢) تفسير ابن عاشور ٢٢/ ٢١٢-٢١٣.

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٧٥، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٥١-٣٥٢، تفسير الزمخشري ٣/ ٣٨.

الذين هم مختفون في دار الأرقم بن أبي الأرقم على الحق؟"[١].

**ويذكر الله تبارك وتعالى من قول فرعون وملئه:**

﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

ولفظ العبادة هنا يعني التذلل والطاعة، والخدمة والخضوع[٢].

فالمؤمنون بنبي الله موسى عليه السلام من بني إسرائيل كانوا تبعا لآل فرعون، يقومون بوظائف الخدمة لهم على وجه التذلل والانقياد، ويجدون منهم الازدراء والتنقّص والاحتقار.

ومن ثَمّ فإن هذا الوضع الذي يعيشه المؤمنون يمثل ـ في نظر آل فرعون ـ شبهة تمنع من الاستجابة، إذ كيف يرضون لأنفسهم أن ينهجوا نهج بني إسرائيل التابعين لهم والخادمين؟ وكيف يكون أولئك المؤمنون على الحق وهم بهذا الحال المهين من الذلة والدونية والضعف؟ وكيف يكون آل فرعون على باطل، وهم أصحاب الملك والثراء، والشرف والجاه؟

**ولعل هذا المنطق أيضًا هو ما دفع المكذبين من قوم نوح عليه السلام إلى نفي الفضل عن المؤمنين:**

﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

قال ابن عطية: "أي: ما ثَمّ شيء تستحقون به الاتباع والطاعة"[٣].

---

(١) تفسير القاسمي ١١/ ١٤٢، وينظر: تفسير الواحدي ٢/ ٦٨٧، تفسير الزمخشري ٣/ ٣٨، تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٤، نظم الدرر ٤/ ٥٥٣، تفسير ابن عاشور ١٦/ ١٥٣.

(٢) ينظر: تفسير الواحدي ٢/ ٧٤٨، تفسير ابن عطية ٤/ ١٤٤، تفسير الجلالين ص٤٥٠.

(٣) تفسير ابن عطية ٣/ ١٦٤، وينظر تفسير الجلالين ص٢٨٨.

وقال ابن كثير: "يقولون: ما رأينا لكم علينا فضيلة في خَلْق ولا خُلُق ولا رزق ولا مال لما دخلتم في دينكم هذا"(١).

فالملأ الكافرون لا يرون في المؤمنين فضائل أو خصائص يتميزون بها، من مال وثروة، أو جاه وسيادة وشرف، تجعلهم أكثر معرفة، أو أشد فهما وإدراكا، وكأن الفضل يقاس بالمال، والفهم يقاس بالجاه، والمعرفة تقاس بالشرف.

وحسب هذا المقياس فإن الفئة المؤمنة بنوح عليه السلام لا فضل لها يؤهلها لأن يكون الحق معها، ولتكون جديرة بأن يسلك المعاندون مسلكها، ويسيرون على طريقها، اتباعا لدين الله تعالى على لسان نوح عليه السلام.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٢، وينظر: نظم الدرر ٣/ ٥٢٢، تفسير ابن عاشور ١٢/ ٤٩.

## الشبهة السادسة

## اتهام المؤمنين بأنهم يفتقدون الإخلاص وسلامة النية وأن إيمانهم إنما كان لأغراض ومطامع ذاتية

من الشبهات التي تعرض لها فئات من المؤمنين أنهم لم يدخلوا في دين الله جل وعلا عن يقين بصحة الدعوة، ولم يتبعوا رسولهم ﷺ عن اقتناع بصدق الداعية، ولم تتجرد نياتهم في هذا الاتجاه.

بل كان الباعث لهم إلى المسارعة بالإيمان، والاستعجال في الالتزام بالدين، إنما هو الرغبة في الحصول على مغانم سريعة، ومتع آنية، ومصالح مادية.

هذا هو ما يشغل بال المؤمنين ـ كما يقول أعداء الرسالات ـ ولا يهمهم بعد ذلك الدعوة نفسها هدى كانت أو ضلالا، حقا أو باطلا، وليس لهم رغبة في التأمل في الدين الذي أعلنوا الالتزام به أصائب هو أم زائف، فالتفكير لديهم منصب على المطامع الذاتية، والشهوات المادية، والرغبات النفسية، لا الأفكار، ولا المبادئ، ولا العقائد الدينية.

**هذا الاتهام للفئة المؤمنة كان ضمن اتهامات الملأ من قوم نوح ﷺ كما في قول الله جل شأنه:**

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [هود: ٢٧].

قال الواحدي: "اتبعوك في ظاهر الرأي وباطنهم على خلاف ذلك"(١).

---

(١) تفسير الواحدي ١/ ٥١٨، وينظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٧، معاني القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٢، تفسير ابن عطية ٢/ ١٦٣، تفسير الفخر الرازي ١٧/ ٢١٢، تفسير القرطبي ٩/ ١٨، تفسير البحر المحيط ٥/ ٢١٥، حجة القراءات ص٣٣٨.

ويؤيده ما تضمنه رد نوح ﷺ على شبهة المكذبين:

﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [الشعراء: ١١٢-١٢٣].

قال الرازي: "وهذا الكلام يدل على أنهم نسبوهم مع ذلك إلى أنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة، وإنما آمنوا بالهوى والطمع"(١).

وقال القرطبي: "كأنهم قالوا: إنما اتبعك هؤلاء الضعفاء طمعا في العزة والمال"(٢).

فالملأ هنا يوجهون الاتهام للمؤمنين بالنفاق، بمعنى أنهم يبطنون غير ما يظهرون.

فالظاهر من علانيتهم هو الاتجاه إلى مبادئ اقتنعوا بها، فجهروا بالإيمان، واتبعوا نوحا ﷺ عن بصيرة ويقين.

أما الباطن فغير ذلك ـ في زعم المضلّلين ـ فالغرض عند هؤلاء المؤمنين إنما هو الطمع والشهوة، والرغبة في المكانة، والجري وراء المصالح والمكاسب، وتوقع الوصول ـ من خلال شعار الدين والدعوة ـ إلى غايات لم يكونوا ليأملوا بلوغها دون الدخول في الدين، والتظاهر به.

فما الإيمان منهم، والالتزام بالعقيدة والدين عندهم، إلا واجهة لبلوغ المرام، وستار للوصول إلى تلك الغايات المحددة سلفا في الأذهان، والتفكير فيها يسبق التفكير في صحة الدين الذي جاء به نوح ﷺ.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٥، وينظر: تفسير الزمخشري ٣/ ٣٢٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٨٢.

وفي قصة موسى عليه السلام نلحظ أيضًا هذه الشبهة يثيرها فرعون حول السحرة حين أعلنوا إيمانهم برب العالمين جل وعلا.

ذلك أن السحرة لما تيقنوا أن ما جاء به موسى عليه السلام هو المعجزة الإلهية، واستولى الإيمان على قلوبهم، فسجدوا أمام الجموع الحاشدة لله رب العالمين، وجهروا باستجابتهم لداعي الإيمان، فزع عند ذلك فرعون، وخاف أن تتحرك تلك الجموع لتقتدي بهم، وتسلك طريقهم في الإيمان بالله سبحانه، انطلاقا من كونهم، وهم السحرة المهرة، لم يؤمنوا إلا عن اقتناع جازم بصحة نبوة موسى عليه السلام، وظهور ما أجرى الله سبحانه على يديه من المعجزة.

لذلك كله سارع فرعون إلى إلقاء الشبهة قبل التهديد والوعيد، فاتهم أولئك السحرة المؤمنين بأن مسارعتهم إلى الإيمان لموسى عليه السلام تستر أهدافا ومصالح يسعون للحصول عليها، وأن استجابتهم المباشرة بهذه الصورة توحي بأن في الأمر سرا غير ما أعلنوه، بل اتهمهم بأن بينهم وبين نبي الله موسى عليه السلام حبالا موصولة، ولقاءات متبادلة، يخططون فيها ضد فرعون ودولته.

**يقول الله عز وجل عما اتهم به فرعون أولئك المؤمنين:**

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ [الشعراء: ٤٩].

**ويقول سبحانه:**

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

نلاحظ في هذه الآيات الكريمة أن فرعون قذف السحرة المؤمنين بمجموعة من الاتهامات المتلاحقة، وأثار حولهم جملة من الشبهات الموصول بعضها ببعض،

بغية التشويش على الناس، والتلبيس عليهم، والتشكيك في اتجاه هؤلاء المؤمنين وفي مقاصدهم، وبالتالي التنفير من سلوك سبيلهم، وصرف العوام عن الاقتداء بهم.

**هذه الاتهامات هي:**

**أولاً**: أن إيمان هؤلاء السحرة لم يكن عن تأمل وبصيرة، ونظر وتفكّر، ولم يكن لقناعة بصدق موسى عليه السلام وصحة ما جاء به، أو لقوة في الدليل وظهور في المعجزة، وإنما كانت هناك أهداف أخرى تتستر بهذه الواجهة في الظاهر، فلهم أغراضهم الخاصة، ومصالحهم المادية لدى موسى عليه السلام، ولذا آمنوا به سريعا دون تروّ ولا تمحيص ولا إعمال للفكر ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

**ثانيًا**: أن هؤلاء يجتمعون مع موسى عليه السلام في صفة السحر والمهارة فيه، بل هم تلامذة له في هذا المجال، ولذلك فقد حصل بينهم اتفاق وحيلة، وتواطؤ سابق على إظهار العجز أمامه، حتى يظهر أمره، وتروج بين الناس دعوته، ويفخم في أعين الجماهير شأنه، ومن ثَمّ فقد كان هناك ميل سابق منهم إليه، وعزم على التقصير أمام ما جاء به ـ في زعم فرعون ـ من السحر ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾، ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾.

"أي: إن غلبته لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك"(١).

**ثالثًا**: أن أولئك المؤمنين يخططون ويمكرون بالتنسيق مع موسى عليه السلام، وهدفهم النهائي من هذا المكر المستمر، والعمل الدائب، والخطة المحكمة، إنما هو السيطرة على البلد، والقضاء على أهلها من القبط، لتكون الرياسة لهم، والسلطة

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٣٨، وينظر: نظم الدرر ٥/ ٣٦٠.

بأيديهم، وليذلوا القبط ويهينوهم، ويشردوهم في الأرض، ويبطلوا سلطان فرعون، ويستولوا بذلك على الدولة كلها.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ﴾.

"أي: تجتمعوا أنتم وهو، وتكون لكم دولة وصولة، وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء، وتكون الدولة والتصرف لكم"(١).

ويشارك الملأ طاغيتهم، فيثيرون الشبهة حول عموم المؤمنين بدعوة موسى عليه السلام، ويرمونهم بتهمة الإفساد في الأرض.

**قال تعالى:**

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

فالمؤمنون ـ حسب منطق هؤلاء ـ مرادهم من هذا التحرك ضمن إطار الدين هو الإفساد في الأرض، بغية الوصول إلى أطماعهم ومصالحهم، وذلك بنشر الفتنة بين طبقات المجتمع، وإيجاد الاضطراب، وإقلاق الأمن، والقضاء على مكاسب الجماهير في وطنهم، وتفريق شمل الأمة، وتغيير عقائد الناس ونظمهم ومناهجهم التي ساروا عليها، والتي تقوم على عبادة فرعون، والخضوع له، وتطبيق شرعه وأمره، وهكذا فالإفساد الذي يزعمه الملأ يشمل إفساد الناس في دينهم ودنياهم.

هذه هي غاية المؤمنين بالدعوة ـ في زعم المضلّلين ـ وهذا هو هدفهم الذي يسترونه بغطاء ومظهر وواجهة، هي الالتزام بالإسلام، والدعوة إلى رب العالمين.

ولا شك أن لهذا المنطق دوره في التشكيك بالمؤمنين، وتنفير جمهور الناس منهم، ما داموا ـ بحسب الاتهام ـ يمثلون العقبة الكؤود أمام رخائهم وسعادتهم، وأمنهم واستقرارهم، وخيراتهم ومكاسبهم.

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٣٨، وينظر: نظم الدرر ٣/ ٨٤-٨٥.

# الشبهة السابعة
## الطهارة والعفة مطعن في المؤمنين بزعمهم

الطهارة والعفة في الحقيقة صفة إيجابية لأصحابها، تدل فيهم على الجمال والفضيلة، لكن أهل الفجور المكذبين بنبي الله لوط ﷺ يعكسون الأمر، فيجعلونها صفة ذميمة في المؤمنين، يستحقون من أجلها الاتهام لهم والنفور منهم، والحذر من معايشتهم.

**قال الله سبحانه:**

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل: ٥٦].

(﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢].

قال أبو حيان: "الضمير في ﴿ أَخْرِجُوهُم ﴾ عائد على لوط ومن آمن به"(١).

والقائلون هم الطاغون المكذبون المجاهرون بالفحش، يوصي بعضهم بعضا بطرد المؤمنين بالله سبحانه، الملتزمين بدينه، ونفيهم من البلد، والاتهام الموجه لهم هو أنهم يتطهرون من سوأة الفاحشة، ويتنزهون عن دنس الرذيلة، ويترفعون عن حمأة(٢) المعصية، ويتعالون عن وحل الرجس وقذارة الشذوذ.

---

(١) تفسير البحر المحيط ٤/ ٣٣٤، وينظر: تفسير الزمخشري ٢/ ١١٩.

أما لفظ الآل فإنه يطلق بمعنى التابعين في العلم والدين. ينظر: المفردات ص١٥-١٦، بصائر ذوي التمييز ٢/ ١٦٢-١٦٣.

(٢) "الحمأة: الطين الأسود المنتن". ترتيب القاموس المحيط ١/ ٧٠٢.

قال الشوكاني: "وجملة (إنهم أناس يتطهرون) تعليل لما أمروا به من الإخراج، ووصفهم بالتطهر يمكن أن يكون على حقيقته، وأنهم أرادوا أن هؤلاء يتنزهون عن الوقوع في هذه الفاحشة، فلا يساكنونا في قريتنا"(١).

ولهذا قال قتادة: "عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم"(٢).

وتلك قمة الارتكاس للفطرة، حين تصبح الرذيلة فضيلة، والضلالة هداية، والدنس رفعة، والفاحشة جمالا، ويصبح الوالغ في الفاحشة شخصا سويا، يحيا حياة طبيعية عادية، بل هي المستحسنة المرغوبة التي يحق لصاحبها الافتخار والمباهاة، وحين يصبح المتنزه عن الفاحشة شخصا غير عادي، يحمل نفسيه غير طبيعية، ولا يحيا حياة سوية، إذ لا يستطيع مجاراة القوم صنيعهم، ومن ثَمّ فهو بهذا الحال لا يستحق المعايشة.

وهذا ما وصف به أهل الكفر والفجور لوطا عليه السلام ومن اتبع دعوته من المؤمنين.

---

(١) فتح القدير ٢/ ٢٢٢، وينظر: تفسير الطبري ٨/ ٢٣٥، تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٨، تفسير السمعاني ٢/ ١٩٦، تفسير الزمخشري ٢/ ١١٩، ٣/ ٣٧٩، تفسير ابن عطية ٤/ ٢٦٥، تفسير البحر المحيط ٤/ ٣٣٥، نظم الدرر ٥/ ٤٣٥، الدر المنثور ٣/ ٤٩٦.

(٢) تفسير الطبري ٨/ ٢٣٥، وينظر: ٢٠/ ١، تفسير الصنعاني ٣/ ٨٣، تفسير ابن عطية ٤/ ٢٦٥، تفسير البحر المحيط ٤/ ٣٣٥، الدر المنثور ٣/ ٤٩٦، تفسير ابن عاشور ٩/ ٢٣٥.

# الشبهة الثامنة
# التشاؤم بالمؤمنين

يظهر آل فرعون تشاؤمهم بنبي الله موسى عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين، فيجعلونهم السبب الأصيل لما يصيبهم من قحط وجدب، أو شر وبلاء، أو فتنة وفرقة.

**يقول الله تعالى:**

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

قال الشوكاني: "﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: خصلة سيئة من الجدب والقحط وكثرة الأمراض ونحوها من البلاء ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ أي: يتشاءموا بموسى ومن معه من المؤمنين به"(١).

هؤلاء المؤمنون بربهم، المستجيبون لدعوته، هم ـ في نظر آل فرعون ـ سبب الفتنة، وأساس المحنة، وهم العلة الأصيلة لما يعتري الناس من ضيق في أموالهم ومزارعهم، أو مكاسبهم وتجاراتهم، وكلما ازدادت الأزمات في البلد اتسعت دائرة التشاؤم من آل فرعون بالمؤمنين، واعتبارهم السبب الأول لما يصيب القوم، بما جاؤوا به من الدين الجديد والدعوة الغريبة.

تلك المقولة تكررت أيضًا على لسان المكذبين من ثمود في مواجهتهم لنبي الله صالح عليه السلام كما حكى القرآن عنهم:

﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ [النمل: ٤٧].

---

(١) فتح القدير ٢/ ٢٣٧، وينظر: تفسير الواحدي ١/ ٤٠٩، تفسير الزمخشري ٢/ ١٣٦.

قال ابن كثير: "أي: ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرا، وذلك أنهم لشقائهم كان لا يصيب أحدا منهم سوء إلا قال: هذا من قبل صالح وأصحابه"[1].

فالفئة المؤمنة لا خير يُرجى من ورائهم، بل هم شؤم على الأمة، والشر كله متوقع بسببهم، وكلما تأصلوا في المجتمع زاد البلاء لأجلهم، وكثرت المصائب بوجودهم، وكانوا مصدر قلق وعنت وعناء على الجميع، وبالقضاء عليهم، وإزالة أثرهم، يمكن أن يعرف القوم طريق الهناء والاستقرار من جديد ـ كما يزعم الكاذبون المفترون ـ.

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٧، وينظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٥٨٦، تفسير الواحدي ٢/ ٨٠٦، نظم الدرر ٥/ ٤٣١-٤٣٢، الدر المنثور ٦/ ٣٦٩.

# الخاتمة

## بين الماضي والحاضر

ما أشبه الليلة بالبارحة، وما حصل بالأمس يتكرر اليوم...

فإذا كان المستكبرون في الأمم السابقة قد واجهوا أنبيائهم عليهم السلام ومن اتبعهم من المؤمنين بالأذى والبطش، وإلقاء التهم، وإثارة الشبهات، وإذا كان صناديد الكفر من اليهود والمشركين والمنافقين قد بذلوا جهودهم في القضاء على رسول الله ﷺ وصحبه المؤمنين رضي الله عنهم، وحاربوا الإسلام ـ وقد بذر بذرته بمكة وأقام دولته بالمدينة ـ بكل الوسائل المتاحة، وواجهوه بكل ما أوتوا من قوة ومن سلاح حسي ومعنوي، فإن أعداء دين الحق اليوم يسيرون على نفس الخطى، ويسلكون ذات المنهج، وإن اختلفت مفرداته وأساليبه بحسب ظروف الزمان والمكان.

ذلك أن الاتجاه واحد، هو العداء المستحكم للإسلام، والحقد المتأصل على المنضوين تحت لوائه.

والسمة العامة لمنهج المواجهة كذلك واحدة، تتمثل في بذل المحاولات الجادة في طمس معالم الإسلام وشرائعه، والتشكيك في مصدره ومحتواه، وفي مبادئه وصلاحيتها لواقع الحياة، وإلقاء الشبه حول المؤمنين به بشكل عام، وعلى رجاله الذين يدعون إليه في صدق ووضوح على وجه الخصوص.

**تلك سنة الله في الصراع بين الحق والباطل، والهدى والضلال:**

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

إن القضية ليست مرتبطة بزمن، فكلما وجد الباطل، تحركت رؤوسه بغية الصد عن دين الله وإطفاء نوره جل وعلا:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

إن أعداء الإسلام في عصرنا من يهود ونصارى ووثنيين ومنافقين وغيرهم يعملون في الجهر أو الخفاء على محو أي أثر للإسلام كلما تحينت لهم الفرصة.

**يقول الله جل وعلا:**

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

**ويقول تبارك وتعالى:**

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

"وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر، وعلى فتنة المسلمين عن دينهم، بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم، وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل، إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين، إن الإسلام بذاته يؤذيهم ويغيظهم ويخيفهم، فهو من القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد، إنه حرب بذاته وبما فيه من حق أبلج ومن منهج قويم ومن نظام سليم.

وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتا: أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا[١] سلاحا غيره"[٢].

---

(١) يقال: نضا السيف وانتضاه: أي سله وأخرجه. ينظر: لسان العرب ٦/ ٤٤٥٧.

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٢٢١-٢٢٢ (مختصرا).

والأمثلة كثيرة جدا، وأكتفي هنا بالإشارة إلى ما نطق به بعض سادة الكفر مما يكشف طبيعة اتجاههم في حرب الإسلام.

**يقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقا:**

"ما دام هذا القرآن موجودا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبة السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان"[(١)].

**وفي كلمة لأحد المسؤولين بوزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٩٥٢م:**

"ليست الشيوعية خطرا على أوروبا فيما يبدو لي، فهي حلقة لاحقة لحلقات سابقة، وإذا كان هناك خطر فهو خطر سياسي عسكري فقط، ولكنه على أي حال ليس خطرا حضاريا تتعرض معه مقومات وجودنا الفكري والإنساني للزوال والفناء.

إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الإسلامي.."[(٢)].

**ويقول اللورد كرومر القائد البريطاني في مصر زمن الاحتلال:**

"إن الإسلام دين مناف للتجديد، ولم يكن صالحا إلا للزمن والمحيط اللذين وجد فيهما، وإن المسلمين لا يمكن أن يرقوا في سلم الحضارة والتمدن إلا بعد أن يتركوا دينهم وينبذوا القرآن وأوامره ظهريا.."[(٣)].

---

(١) قادة الغرب يقولون ص٣٨، الشباب المسلم في مواجهة التحديات ص٥١.

(٢) الخطر الصهيوني على العالم الإسلام ص٨٠.

(٣) تاريخ الغزو الفكري ص١٢.

**ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقا:**

"إن الإسلام عقبة في سبيل العلم والحضارة"[١].

"إن تقدم المسلمين مستحيل لأن الإسلام يحول دون ذلك"[٢].

**ويقول جاردنر أحد أكابر المبشرين (المنصرين):**

"إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا"[٣].

**وهو القائل ضمن خطابه في مؤتمر أدنبرج للتبشير (التنصير) المنعقد بالقاهرة سنة ١٩١٠م[٤]:**

"إن مشكلة الإسلام هذه مسألة لا يمكن أن نتغافلها ببساطة، أولاً: لأن الإسلام على أبوابنا، فمن أقصى الساحل الشمالي الأفريقي يواجه أوروبا، إنه فعلا يلمسها، ويمكن القول إنه يمسكها عمليا من طرفي البحر المتوسط، وثانيًا: لأنه مشكلة أساسية مركزية أيضًا، فكروا في تلك الكتلة المركزية لعالم الإسلام الصلب من شمال أفريقيا إلى غرب ووسط آسيا، إنه كإسفين[٥] ثابت يحجب الغرب المسيحي عن الشرق الوثني.

فحقا لذلك يجب ألا نؤجل مشكلة الإسلام. إنها مشكلة اليوم كما رأينا، فليكن نفس اليوم على هذا هو يوم الحل والخلاص.."[٦].

---

(١) تاريخ الغزو الفكري ص ١١٠.

(٢) المصدر نفسه ص١٢٤.

(٣) الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي ص١٥٠، التبشير العالمي ضد الإسلام ص٧.

(٤) ينظر تفصيلات هذا المؤتمر وأمثاله من مؤتمرات المنصرين وعلى رأسهم زعيمهم القسيس زويمر في كتاب: الغارة على العالم الإسلامي لمؤلفه شاتليه وترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.

(٥) "السفين: حديدة أو خشبة تستعمل لفلق الحطب وغيره (يونانية)". المنجد في اللغة والأعلام ص٣٣٨.

(٦) الوثيقة.. الإسلام الخطر ص١٨-١٩ (مع اختصار).

**ويقول المنصر لورنس براون:**

"إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"[١].

**ويقول أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م:**

"يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراخ محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي"[٢].

**ويقول القسيس زويمر رئيس إرسالية التنصير العربية:**

"إن جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية"[٣].

ويقف كرزون وزير خارجية بريطانيا في مجلس العموم البريطاني ليقول وهو يرد على احتجاج بعض النواب على انسحاب انجلترا من تركيا والاعتراف باستقلالها:

"لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم، لأننا قضينا على قوتها

---

(١) قادة الغرب يقولون ص٣٠-٣١.

(٢) العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري ص٦٥، قادة الغرب يقولون ص٢٤-٢٥.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي ص٩١.

المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة"[١].

وبالقضاء على الخلافة الإسلامية تمكن أبناء يهود من احتلال فلسطين وإعلان دولتهم فيها عام ١٩٤٨م، بعد تخطيط متواصل وعمل دؤوب على مدى خمسين عام، بدأه هرتزل بتأسيس الحركة الصهيونية، وعقد مؤتمرهم في بال بسويسرا عام ١٩٨٧م، والذي اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من كبرائهم، ممثلين لخمسين جمعية يهودية، ورسموا فيه خطتهم للسيطرة على العالم، وخرجوا من ذلك المؤتمر بقرارات سرية، عرفت فيما بعد باسم بروتوكولات حكماء صهيون[٢].

وفي افتتاح ذلك المؤتمر يقول هرتزل: "يمكن التجاوز عما قاله أو كتبه أي فرد منا من قبل أما قرارات هذا المؤتمر فلا"[٣].

ويدنس اليهود أرض القدس الشريف سنة ١٩٦٧م، ويقول موشى دايان بعد أن تمكنوا من السيطرة على المدينة: "هذا يوم بيوم خيبر، يالثارات خيبر"[٤].

ويعلن اليهود فزعهم من الإسلام، فيقول ابن غوريون رئيس وزرائهم سابقا:

"نحن لا نخاف الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلا، وبدأ يتململ من جديد"[٥].

---

(١) قادة الغرب يقولون ص٤٨-٤٩، الشباب المسلم في مواجهة التحديات ص٤٣.

(٢) ينظر: احذروا مخطط يهود ص٩ وما بعدها، تاريخ الغزو الفكري ص٢٠٤، المسألة الشرقية ص١٥٣ وما بعدها، الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون.

(٣) المسألة الشرقية ص١٥٤.

(٤) قادة الغرب يقولون ص٢٨.

(٥) الإسلام على حلبة الصراع ص١٣٥-١٣٦.

**ويقول شمعون بيريز أحد زعماء يهود:**

"إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة مادام الإسلام شاهرا سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد"[(١)].

إن استيلاء اليهود على فلسطين هو أحد ثمرات التحالف اليهودي النصراني، والذي اتضحت بعض معالمه في إعلان اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م وأقره مجلس وزرائها، وفيه: "إن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تنظر بعطف إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وستبذل أقصى المحاولات لتسهيل تحقيق هذا الهدف"[(٢)].

**ويقول أيوجين روستو مستشار الرئيس جونسون في الستينات، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية:**

"لا تستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادي للإسلام، أي إلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت غير ذلك تنكرت للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها، إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وإن قيام إسرائيل جزء من هذا المخطط"[(٣)].

**ويقول ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة سابقا:**

"لقد حققنا الكثير في المنطقة في الأربعين سنة الماضية، فمنذ ١٩٤٨ ضمنا بقاء دولة إسرائيل.. لقد أمرت في حرب ١٩٧٣م ببدء جسر جوي ضخم

---

(١) الإسلام على حلبة الصراع ص١٣٦.

(٢) العالم الإسلامي والمكائد الدولية ص٥٤.

(٣) الإسلام على حلبة الصراع ص١٢٥.

للمعدات والمواد التي مكنت إسرائيل من وقف تقدم سوريا ومصر على جبهتين، وكتبت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل في مذكراتها تقول: "لقد كان الجسر أمرا له قيمة لا تقدر.. وساعد بلا شك في جعل انتصارنا أمرا ممكنا". إن التزامنا ببقاء إسرائيل التزام عميق، فنحن لسنا حلفاء رسميين، وإنما يربطنا معا شيء أقوى من أي قصاصة ورق، إنه التزام معنوي، إنه التزام لم يخل به أي رئيس في الماضي أبدا، وسيفي به كل رئيس في المستقبل بإخلاص، إن أمريكا لن تسمح أبدا لأعداء إسرائيل الذين أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها"[1].

ويستمر عداء رؤوس الكفر للمسلمين، ولا تنقطع تصريحاتهم بين آونة وأخرى تحذر من الإسلام، وتذكر بخطورته.

**يقول إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل سابقا ضمن خطاب له في ١٦/ ١٢/ ١٩٩٢م:**

"إن العالم الغربي مدعو للوقوف أمام الإسلام الأصولي، ومدعو للتكاتف والوقوف مع إسرائيل في حربها مع الإسلام..". ثم يقول: "إن إسرائيل تقف نيابة عن العالم الحر في وجه هذا الزحف في منطقة الشرق الأوسط، إن إسرائيل تضطلع خلال عقد التسعينات وربما بعده أيضًا بواجب دولي في محاربة الأصولية الإسلامية[2]، وإن العالم الغربي مدعو للتكاتف من أجل دعم إسرائيل وتأييدها في

---

(١) نصر بلا حرب ص٢٩١.

(٢) الأصولية مصطلح نصراني غربي في الأصل، وهو يعني ـ ضمن ما يعنيه ـ عندهم: التمسك الحرفي بالإنجيل..، ثم نقل الغربيون هذا المصطلح إلى المسلمين، وهم كثيرا ما يعممونه، فيصبح كل ملتزم بالإسلام داع إلى تطبيق الشريعة موصوفا في الدوائر السياسية لليهود والنصارى بأنه أصولي، بل كثيرا ما يترادف في تصريحاتهم الأصولية والإسلام. ينظر الغلو في الدين ص ١٧٠ وما بعدها.

أدائها لهذا الواجب"[١].

**ويقول حاييم هيرتزوغ رئيس إسرائيل سابقا:**

"إن الأصولية الإسلامية هي الخطر الأكبر على العالم الحر"[٢].

قال ذلك في أكثر من مناسبة أثناء زيارته لبريطانيا وهولندا في فبراير سنة ١٩٩٣م.

**ويقول في مقابلة مع صحيفة أسبانية:**

"إن المواجهة في الشرق الأوسط إنما أصبحت مع الأصولية الإسلامية التي حلت محل الشيوعية كأهم خطر يهدد المنطقة"، ثم يقول: "إن إسرائيل تصدت في الماضي لخطر الشيوعية والاتحاد السوفياتي، وإن لها دورا في المستقبل بعد زوال الاتحاد السوفييتي هو التصدي لخطر الأصولية الإسلامية على نطاق منطقة الشرق الأوسط كلها"[٣].

**وفي خطاب له في هولندا يقول:**

"إن قادة الغرب لا يقدِّرون ما يجري في الشرق الأوسط، ونتيجة لسوء تقديرهم فإنهم يفاجأون باستمرار بما يجدّ من تطورات"، ثم يقول: "إنهم لا يقدّرون كيف تغيرت خريطة المنطقة وإلى أي حد أصبح العدو الرئيسي هو السلفية الإسلامية"[٤].

---

(١) المجتمع، العدد ١٠٤٣، ص٣٩.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) الوسط، العدد ٦٠، ص٢٦.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

ويقول شمعون بيريز وزير خارجية إسرائيل سابقا في نهاية زيارة له للهند ضمن مقابلة مع صحيفة هندوستان تايمز الهندية:

"إن الأصولية الإسلامية تشكل التهديد الأكبر، وعلينا أن نتخذ كل التدابير الممكنة لاحتوائها، كما أننا مستعدون للتعاون مع الهند لمواجهة التطرف الإسلامي"(١).

ويقول إسحاق رابين:

"إن أكبر خطر يهدد إسرائيل والهند يتمثل في الأصولية الإسلامية، وإن حكومته تحاول جاهدة تطويق هذا الخطر"(٢).

بل إن شمعون يقول وهو بين مضيفيه من الهندوس:

"غاندي هو بمثابة نبيّ للإسرائيليين"(٣).

إن هذه العبارة وما توحي به من التقارب والتحالف بين اليهود والهندوس يذكرنا بقول الله جل وعلا عن سابقيهم في الضلال:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٥١].

ويقول إبراهام دويك سفير إسرائيل في الهند:

"إن كلا من إسرائيل والهند يواجهان خطرا إسلاميا مشتركا"(٤).

(١) المجتمع، العدد ١٠٥٢، ص٢٧، الحياة، العدد ١١٠٥٤، ص٦.

(٢) المجتمع، العدد ١٠٥٢، ص٢٧.

(٣) الإصلاح، العدد ٢٣٩، ص٢٦.

(٤) المسلمون، العدد ٤٣٢، ص١.

ويقول بنيامين تيتانيان، أحد وزراء يهود سابقا لصحيفة هاآرتس الصهيونية:

"إن ديمقراطية الهند وإسرائيل تواجه بربرية العرب والمسلمين في آسيا وأفريقيا"، ثم يقول: "لقد تعلمنا كيف نتعامل مع العرب والمسلمين، ونحن بدورنا سوف نزود الهند بما لدينا من خبرات في هذا المجال"، ويقول أيضًا: "إن خطف الكشميريين لعدد من رجال الموساد لن يثنينا عن المضي في التعاون مع الهند لمواجهة الخطر الإسلامي الذي بات يهدد مستقبل الهندوس والصهاينة معا"[1].

**ويقول رابين في خطاب له بمركز القوات الموحدة التابع لوزارة الدفاع البريطانية:**

"إن الإسلام الأصولي يتمدد خارج منطقة الشرق الأوسط، وإنه على العالم تقليد إسرائيل في حربها ضد هذا التيار"[2].

**ويقول رولان دوما وزير خارجية فرنسا سابقا:**

"إن تصاعد موجة التطرف في الشرق الأوسط وفي حوض المتوسط سيكون الظاهرة الأخطر والأكثر أهمية خلال السنوات المقبلة"[3].

**ويقول فيدل راموس رئيس الفلبين السابق:**

"إن الأصوليين المسلمين هم الخطر الحقيقي على الفلبين"[4].

---

(1) المسلمون، العدد ٤٣٢، ص١.

(2) المجتمع، العدد ١٠٤٥، ص٦.

(3) الإصلاح، العدد ٢٣١، ص١٠.

(4) المجتمع، العدد ١٠٣٩، ص٦٤.

**ويقول جون ميجور رئيس وزراء بريطانيا سابقا:**

"الأصولية سحابة داكنة يتعين أن يراقبها العالم بعناية"(١).

**ويقول ريتشارد نيكسون في أحد مؤلفاته الأخيرة:**

"إن العالم الإسلامي يشكل واحدا من أعظم التحديات للسياسة الخارجية للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين"(٢).

**ويقول:** "يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سيصبح قوة واحدة ومتعصبة، وأن تزايد عدد السكان والقوة المالية المهمة التي يتمتع بها ستشكل تحديا رئيسيا، وأن الغرب سيضطر إلى تشكيل حلف جديد مع موسكو لمواجهة عالم إسلامي معاد ومعتد... وأن قوى الإسلامية الأصولية الناهضة والمنبعثة ستنظم منطقة واسعة، مما سيدفع إلى سياسة احتواء شاملة غربية سوفيتية، وهذا السيناريو الكابوس لن يتحقق أبدًا.."(٣).

**ويقول أيضًا بعد عرض لبعض منجزات الحضارة الإسلامية:**

"إن تلك الإنجازات تمثل ما كان عليه العالم الإسلامي في الماضي، كما أنها تشير إلى ما يمكن أن يكون عليه في المستقبل، إذا أمكن وقف دوائر الحرب المميتة وعدم الاستقرار السياسي"(٤).

**يقول محمد مورو في تحليله لكتاب نيكسون:**

"إذا كان نيكسون يعترف بهذه الحقائق فليس ذلك من قبيل مدح الإسلام

---

(١) الإصلاح، العدد ٢٣٢، ص٣١.

(٢) انتهزوا الفرصة، ص٥٤.

(٣) انتهزوا الفرصة ص٣٩ (مع اختصار).

(٤) نفس المصدر ص٤٣.

والمسلمين، ولكن ليدق جرس الخطر، وينذر الغرب والأمريكيين بأنهم يتعاملون مع قوة لا يستهان بها، ليست مثل باقي القوى التي تحدث عنها من قبل، ولكنها قوة تمتلك التاريخ والجغرافيا والحضارة والموارد والسكان، أي أنها تمثل تحديا حضاريا كبيرا على الغرب وأمريكا، ويعبر نيكسون عن هذا الأمر قائلا: "هذه الإنجازات تبين ما كان عليه العالم الإسلامي في الماضي، وكذلك تبين ما يمكن أن يكون عليه في المستقبل إذا توقفت الحروب بين المسلمين وعدم الاستقرار السياسي" ونيكسون من هنا يضع أولى خطته الاستراتيجية في منع قيام الإسلام بتحدي الغرب، وهو إذكاء الحروب بين المسلمين وعدم توقفها، وكذلك استمرار عدم الاستقرار السياسي في العالم الإسلامي"(١).

وكان نيكسون أكثر صراحة في عبارته لما سأله أحد الصحفيين ـ وكان قد عاد من جولة له في أفغانستان ـ ماذا وجدت هناك؟ فقال: "وجدت أن الخطر هو الإسلام، ويجب أن نصفي خلافاتنا مع روسيا في أقرب وقت، فروسيا على أي حال بلد أوربي، والخلاف بيننا وبينهم قابل للتسوية، أما الخلاف الذي لا يقبل التسوية فهو الخلاف بيننا وبين الإسلام"(٢).

**وتتوالى الاتهامات للإسلام والتحذير من خطره:**

**يقول السفير اليهودي في الهند لصحيفة صنداي تايمز الهندية:**

"إن قضية الإرهاب الأصولي تشكل تحديا مشتركا للهند وإسرائيل، وعلينا أن نستأصل هذا الخطر من جذوره.. إن هذا الخطر سوف يعود بهذه الدول إلى

---

(١) الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة ص٢٢-٢٣.

(٢) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ص١٦١.

الوراء ٥٠٠ سنة أخرى... إن ضعف الهند سينعكس على إسرائيل، لأن كليهما يواجهان خطرا مشتركا هو الأصولية الإسلامية والانتشار النووي الإسلامي"(١).

**ويقول إسحاق شامير:**

"المد الأصولي هو المشكلة الكبرى ليس فقط لإسرائيل، بل وللعالمين العربي والإسلامي، هذا المد سوف يدمر كل إمكانيات التعايش بين العالم الإسلامي والغرب"(٢).

**ويقول أومبرتوبوس زعيم رابطة الشمال الايطالية:**

"المسلمون بربريون يهددون الحضارة الغربية"(٣).

**ويقول غيورغي كونادزة نائب وزير الخارجية الروسي سابقا:**

"إن مصلحة روسيا في آسيا الوسطى هي ألا تتسرب شحنة المد الإسلامي إلى روسيا"(٤).

**ويقول أيضًا في حديث صحفي:** "إن انسحابنا من طاجيكستان يعني أن الإسلام سيجتاح هذا البلد، وسيدخل إلى أوزبكستان، وقيرغيزستان، ليكون على مسافة قريبة من قازاقستان، وسرعان ما يقف على أعتاب روسيا"(٥).

---

(١) المجتمع، العدد ١٠٥٥، ص٤٣.

(٢) الخيرية، العدد ٣٩، ص٣٩.

(٣) الإصلاح، العدد ٢٤٨، ص١٩.

(٤) المسلمون، العدد ٤٤٦، ص٥.

(٥) المسلمون، العدد ٤٤٦، ص٥.

ويقول الجنرال ميخائيل كريسنيكوف رئيس الأركان السابق ونائب وزير الدفاع الروسي:

"إن عملية تغيير بنية البلقان لم تنته، وإن الخطر الأكبر هو الأصولية الإسلامية".[١]

ويقول رئيس إسرائيل السابق حاييم هيرتزوج:

"إن العالم منشغل الآن بأنباء القنبلة النووية وأسلحة الدمار الشامل في المنطقة، ولكن هناك تطورا آخر أخطر من ذلك بكثير وأشد فتكا وهو تنامي الأصولية الإسلامية"[٢].

ويقول للصحفيين بعد لقائه مع رئيس وزراء بريطانيا:

"إن إسرائيل هي جزء من المعركة الكبرى ضد الأصولية، وإن عليها مكافحة التيار الإسلامي الأصولي في شتى أرجاء الشرق الأوسط وليس في إسرائيل وحدها"[٣].

ويقول رابين في خطاب له أمام اتحاد المنظمات اليهودية في وشنطن:

"إننا لسنا متأكدين بعد أن الرئيس كلينتون وفريقه يدركان تماما خطر الأصولية الإسلامية والدور الحاسم لإسرائيل في محاربتها"[٤].

ويقول: ".. واليوم نقف نحن الإسرائيليين في خط النار ضد الإسلام

---

(١) الإصلاح، العدد ٢٦٥، ص٢٧.

(٢) المجتمع، العدد ١٠٧٨، ص٦.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

الأصولي، ونحن نطالب كل الدول وكل الشعوب أن يكرسوا انتباههم إلى الخطر الضخم الكامن في الأصولية الإسلامية"(١).

**ويقول شمعون بيريز:**

"إن السحب التي تحجب السماء في الشرق الأوسط هي سحب أصولية وليست إسرائيلية، ولكن الأصولية ليست دينا جديدا، إنها احتجاج قديم على الفقر والفساد"(٢).

**ويقول زبيغنيو برزنسكي مستشار الأمن القومي السابق في الولايات المتحدة:**

"لن أسمح للإسلام بلعب أي دور سياسي بعد اليوم"(٣).

**وفي مقابلة مع لوس انجليس تايمز سئل كيسنجر وزير خارجية أمريكا سابقا: في رؤيتك للسنوات العشر المقبلة ما هي الأخطار المحتملة التي تشغل بالك أكثر من غيرها؟ فأجاب قائلا:**

"الأصولية الإسلامية، والهجرة الجماعية، إذ لا نملك أية فكرة عنها.."(٤).

ومن المناسب هنا أيضًا أن نتأمل بعض التصريحات بشأن البوسنة "إحدى مآسي المسلمين في العقدين الأخيرين" كمثال ندرك من خلاله نظرة أعداء الإسلام إلى قضايا المسلمين، وأمانيهم وغاياتهم بهذا الخصوص:

---

(١) المجتمع، العدد ١٠٧٨، ص٦.

(٢) الإصلاح، العدد ٢٦٧، ص١٣.

(٣) المصدر نفسه ص٣٥.

(٤) الشرق الأوسط، العدد ٥٥٤٩، ص١٠.

**يقول رادوفان زعيم صرب البوسنة:**

"إن الصرب اليوم يخوضون حربهم المقدسة ضد الأصولية الإسلامية، ولو أنهم قدموا مليون جندي صربي فداء ودفاعا عن المسيحية فهم الفائزون المنتصرون، إذا ما قضت حملتهم على المسلمين في أوروبا قضاء مبرما"[1].

**ويقول تعليقا على استفتاء صرب البوسنة ورفضهم لخطة السلام المقترحة:**

"..هذا ليس تقريرا لرفض السلام، بل لإرادة شعب البوسنة الصربي لكفاحه لأجل أوروبا النصرانية أمام الأصولية الإسلامية"[2].

**وفي المؤتمر العام الذي عقده البطاركة الأرثوذكس في اسطنبول ٣٠-٣١ يوليو ١٩٩٣م، والذي يعتبر الأول من نوعه لزعامات الأرثوذكس في العالم قال أحد المؤتمرين:**

"نخشى أن يكون عام ٢٠٠٠ بداية لاتساع دائرة البلدان التي تحكم بالشريعة الإسلامية"، وقال: "إن ظاهرة البوسنة والهرسك لا يجب أن تغيب عن أذهاننا، وعلينا أن نعي مدى خطورة هذه الظاهرة ـ الأصولية الإسلامية ـ ونعمل بكل جد من أجل دعم إخواننا النصارى وحمايتهم"[3].

**ويقول هنري كيسنجر:**

"إن الخطأ اللامسؤول للمأساة الدائرة الآن هو الاعتراف الدولي بدولة بوسنوية يحكمها مسلمون"[4].

---

(١) المجتمع، العدد ١٠٥٥، ص٣١.

(٢) الإصلاح، العدد ٢٣٩، ص٣٧.

(٣) المسلمون، العدد ٤٤٤، ص٤.

(٤) الإصلاح، العدد ٢٤١، ص١٥.

**ويقول جون ميجور:**

"سوف نستمر في إلزام وإرغام الأمم المتحدة على حظر السلاح إلى منطقة البوسنة والهرسك، حتى يتم تقسيم البوسنة والهرسك، وتدميرها كدولة إسلامية متوقعة داخل أوروبا"(١).

**ويقول رئيس الوزراء اليوناني السابق قسطنطين ميتسوتاكيس في حديث صحفي:**

"أكاد أرى هلالا إسلاميا يحيط باليونان، يمتد من تركيا إلى يوغسلافيا عبر ألبانيا، وهذا الهلال يجب أن يتحطم"(٢).

ومثل هذه العبارات في الهجوم على الإسلام تتردّد بين حين وآخر إلى وقتنا هذا، كما تتوالى الاتهامات التي تشكّك في شريعة الإسلام، وتطعن في نبينا عليه الصلاة والسلام.

إن أعداء الإسلام اليوم وهم يهدفون إلى إطفاء جذوته، إنما يقتدون بمن سبقهم من أئمة الكفر على طريق الحرب لدين الله ودعوته تبارك وتعالى، والله جل وعلا يقول:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) الخيرية، العدد ٣٩، ص٣٩.

(٢) اليمامة، العدد ١٢٥٢، ص١٦.

## مراجع البحث

- إبراز المعاني من حرز الأماني.
أبو شامة المقدسي، ط١٤٠٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- الإتقان في علوم القرآن.
جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، ط١٤٠٧، المكتبة العصرية، بيروت.
- احذروا مخطط يهود.
أبو الأعلى المودودي، تعريب أحمد إدريس، المختار الإسلامي، القاهرة.
- أسباب النزول.
أبو الحسن الواحدي، تحقيق أيمن شعبان، ط٢، دار القبلة، جدة.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
أبوعمر ابن عبدالبر، تحقيق على البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- الإسلام على حلبة الصراع.
أحمد الشريف، ط١، دار المجتمع، جدة.
- الإسلام وأمريكا (تحليل لكتاب الفرصة السانحة لريتشارد نيكسون).
د. أحمد مورو، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية، القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة.
ابن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- أصول الدعوة.
د. عبدالكريم زيدان، ط٣.

ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.
محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.
ـ إعجاز القرآن.
مصطفى صادق الرافعي، ط٣، المكتبة العصرية.
ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب.
أبونصر ابن ماكولا، ط محمد أمين دمج، بيروت.
ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات.
أبوالبقاء العكبري، ط١٣٨٩، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
ـ انتهزوا الفرصة (التحدي الأمريكي في عالم الدولة العظمى الواحدة).
ريتشارد نيكسون، ترجمة حاتم غانم، ط١، شركة قايتباي، القاهرة.
ـ البداية والنهاية.
أبوالفداء ابن كثير، تحقيق علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ـ البرهان في علوم القرآن.
بدر الدين الزركشي، ط٢، دار المعرفة، بيروت.
ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.
أبو طاهر الفيروز ابادي، تحقيق محمد النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
ـ بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني.
أحمد البنا، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ـ التبيان في تفسير غريب القرآن.

شهاب الدين الشافعي، تحقيق فتحي أنور، ط١، دار الصحابة، القاهرة.
- تاج العروس من جواهر القاموس.
الزبيدي، تحقيق عبد الستار فرج، ط١٣٨٥، مطبعة حكومة الكويت.
- تاريخ الغزو الفكري والتغريب.
أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة.
- التبشير العالمي ضد الإسلام.
د. عبدالعظيم المطعني، ط١، مكتبة النور، القاهرة.
- تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي.
محمد المباركفوري، تخريج عصام الصبابطي، ط١، دار الحديث، القاهرة.
- ترتيب القاموس المحيط للفيروز ابادي.
أحمد الزاوي، ط٣، دار الفكر، بيروت.
- التسهيل لعلوم التنزيل.
ابن جزي الكلبي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تفسير البحر المحيط.
أبو حيان الأندلسي، ط٢، دار الفكر، بيروت.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل).
أبو محمد البغوي، تحقيق خالد العك وزميله، ط٢، دار المعرفة، بيروت.
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).
ناصر الدين البيضاوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير الجلالين.

جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ط١، دار الحديث، القاهرة.
- تفسير ابن أبي حاتم.
عبد الرحمن الرازي، تحقيق أسعد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن).
ابن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل).
جار الله الزمخشري، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت.
- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).
عبدالرحمن السعدي، ط١٤٠٨، دار المدني، جدة.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم).
أبو السعود العماري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير السمرقندي (بحر العلوم).
أبو الليث السمرقندي، تحقيق د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- تفسير السمعاني (تفسير القرآن العزيز).
أبو المظفر السمعاني، تحقيق ياسر إبراهيم، دار الوطن، بيروت.
- تفسير الصنعاني.
عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم، ط١، مكتبة الرشد.
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).
محمد بن جرير، أبوجعفر الطبري، ط٢، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة.
- تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير).
الطاهر ابن عاشور، ط١٩٨٤، الدار التونسية، تونس.

- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز).
ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالسلام محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير غريب القرآن.
أبو محمد ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، ط١٣٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب، التفسير الكبير).
فخرالدين الرازي، ط١، المطبعة البهية المصرية، القاهرة.
- تفسير القاسمي (محاسن التأويل).
جمال الدين القاسمي، تصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢، دار الفكر، بيروت.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن).
أبو عبدالله الأنصاري القرطبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التفسير القيم.
ابن القيم، جمع محمد الندوي، تحقيق محمد الفقي، دار العلوم الحديثة، بيروت.
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم).
أبو الفداء ابن كثير، ط١٤٠٢، دار المعرفة، بيروت.
- تفسير مجاهد.
مجاهد بن جبر، تحقيق عبدالرحمن الطاهر، دار المنشورات العلمية، بيروت.
- تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم).
محمد رشيد رضا، ط٢، دار المعرفة، بيروت.

- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل).
أبو البركات النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز).
أبو الحسن الواحدي، تحقيق صفوان داودي، ط١، دار القلم، دمشق.
- تهذيب الأسماء واللغات.
أبو زكريا النووي، تحقيق علي معوض وزميله، ط١، دار النفائس، بيروت.
- تهذيب اللغة.
أبو منصور الأزهري، ط١٩٦٧، دار الكاتب العربي، القاهرة.
- حجة القراءات.
أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي.
ماجد كيلاني، ط٣، الدار السعودية، جدة.
- الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون).
ترجمة محمد خليفة التونسي، ط٢، دار التراث، القاهرة.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور.
جلال الدين السيوطي، ط١٩٩٣، دار الفكر، بيروت.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة.
أبوبكر البيهقي، تخريج د. عبدالمعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر.
محمد قطب، ط١، دار الوطن، الرياض.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.
شهاب الدين الآلوسي، ط١٤٠٣، دار الفكر، بيروت.
- الروض الأنف (في تفسير السيرة النبوية لابن هشام).
أبوالقاسم السهيلي، ضبط طه عبد الرؤوف، دار الفكر، بيروت.
- الروض الريان في أسئلة القرآن.
الحسين ابن ريان، تحقيق عبدالحليم السلفي، ط١، مكتبة العلوم، المدينة المنورة.
- زاد المسير في علم التفسير.
أبوالفرج ابن الجوزي، تحقيق د. محمد عبدالرحمن، ط١، دار الفكر، بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد.
ابن القيم، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.
محمد الصالحي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
- سراج القارئ المبتدئ وتذكرة المقرئ المنتهي (شرح حرز الأماني للشاطبي).
أبوالقاسم العذري البغدادي، ط١٤٠١، دار الفكر، بيروت.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة.
ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن الترمذي.
أبوعيسى الترمذي، ط٢، دار سحنون، تونس.

- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (إنسان العيون).
علي بن برهان الدين الحلبي، ط ١٤٠٠، بيروت.
- السيرة النبوية.
عبدالملك بن هشام، مراجعة محمد هراس، مكتبة زهران، القاهرة.
- السيرة النبوية الصحيحة.
د. أكرم العمري، ط ٤، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.
د. مهدي رزق الله، ط ١، مركز الملك فيصل، الرياض.
- الشباب المسلم في مواجهة التحديات.
د. عبدالله علوان، ط ٢، دار القلم، دمشق.
- شرح النووي على صحيح مسلم.
أبو زكريا النووي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى.
القاضي عياض، تحقيق د. عبدالسلام البكاري، ط ١، دار الفكر، بيروت.
- صحيح البخاري.
أبو عبدالله البخاري، ضبط د. مصطفى البغا، ط ٣، دار ابن كثير، دمشق.
- صحيح ابن خزيمة.
أبوبكر ابن خزيمة، تحقيق د. محمد الأعظمي، ط ٢.
- صحيح السيرة النبوية لابن كثير.
ناصر الدين الألباني، ط ١، المكتبة الإسلامية، عمان.
- صحيح مسلم.

مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد عبد الباقي، دار سحنون، تونس.
- صفة الصفوة.
أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، ط٣، دار المعرفة، بيروت.
- الطبقات الكبرى.
محمد بن سعد البصري، دار صادر، بيروت.
- العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري.
فتحي يكن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الغارة على العالم الإسلامي.
ا.ل. شاتليه، تعريب محب الدين الخطيب وزميله، ط٤، المطبعة السلفية، القاهرة.
- الغرباء الأولون.
سلمان العودة، ط٤، دار ابن الجوزي، الدمام.
- غريب القرآن.
أبوبكر السجستاني، تحقيق محمد أديب، ط١٤١٦، دار قتيبة.
- غريب القرآن وتفسيره.
أبو عبد الرحمن اليزيدي، تحقيق محمد الحاج، ط١، عالم الكتب، بيروت.
- الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي.
على عبد الحليم محمود، ط٤، دار المنار، القاهرة.
- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة.
عبدالرحمن اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.
أحمد البنا، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن.
أبو يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق محمد الصابوني، ط١، المكتبة العصرية، بيروت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.
محمد علي الشوكاني، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- في ظلال القرآن.
سيد قطب، ط١٢، دار العلم، جدة.
- قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله.
جلال العالم، ط٢.
- قصص الأنبياء.
ابن كثير، تحقيق د. مصطفى عبدالواحد، ط٣، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.
- لباب النقول في أسباب النزول.
جلال الدين السيوطي، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت.
- لسان العرب.
أبو الفضل ابن منظور، تحقيق عبدالله علي وزملائه، دار المعارف.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.
نور الدين الهيثمي، تحقيق عبد الله الدرويش، ط١٤١٣، دار الفكر، بيروت.
- مجموع الفتاوى.

ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط.

ـ المسألة الشرقية (دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية).

محمود الشاذلي، ط١٤٠٩، مكتبة وهبة، القاهرة.

ـ المستدرك على الصحيحين.

أبو عبدالله الحاكم، تحقيق مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ المسند.

أحمد بن محمد بن حنبل، اعتنى به أحمد شاكر، ط٤، دار المعارف، القاهرة.

ـ معاني القرآن.

أبو زكريا الفراء، ط٢، عالم الكتب، بيروت.

ـ معاني القرآن الكريم.

أبو جعفر النحاس، تحقيق محمد الصابوني، ط١، مركز إحياء التراث، مكة المكرمة.

ـ معاني القرآن وإعرابه.

أبو إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت.

ـ معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها (التحفة القليبية).

موسى القليبي المصري، تحقيق د. محمد داود، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة.

ـ المغني في ضبط أسماء الرجال.

محمد طاهر الهندي، ط١٣٩٩، دار الكتاب العربي، بيروت.

ـ المفردات في غريب القرآن.

الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد عيتاني، ط١، دار المعرفة، بيروت.

ـ مقاييس اللغة.
أبو الحسن أحمد بن فارس، ط١، دار إحياء التراث، بيروت.
ـ المنجد في اللغة والأعلام.
مجموعة من المختصين، ط٢٧، دار المشرق، بيروت.
ـ النبأ العظيم.
د. محمد عبدالله دراز، ط٥، دار القلم، الكويت.
ـ النشر في القراءات العشر.
ابن الجزري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ نصر بلا حرب.
ريتشارد نيكسون، إعداد المشير محمد أبو غزالة، ط٣، مركز الأهرام، القاهرة.
ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.
أبو الحسن البقاعي، ط٢، دار الكتب، بيروت.
ـ النهاية في غريب الحديث والأثر.
أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، ط١٣٩٩، دار الفكر، بيروت.
ـ الوثيقة.. الإسلام الخطر.
محمود الشاذلي، المختار الإسلامي، القاهرة.

**** الصحف والدوريات.**

ـ صحيفة الحياة، لندن.
ـ صحيفة الشرق الأوسط، لندن.

- صحيفة المسلمون، الرياض.
- مجلة الإصلاح، دبي.
- مجلة الخيرية، الكويت.
- مجلة المجتمع، الكويت.
- مجلة الوسط، لندن.
- مجلة اليمامة، الرياض.

## المحتويات